

الدَّارُ الْآخِرَةُ

(15)

عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الصَّغْرَى

الَّتِي ظَهَرَتْ وَلَا زَالَتْ تَتَّبِعُ

للشيخ / ندا أبو أحمد



الدَّارُ الْآخِرَةُ

علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ولا زالت تتابع

مَهَيِّدًا

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.....
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

[سورة آل عمران:

102]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

[سورة النساء: 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

[سورة الأحزاب: 70-71]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثانياً: العلامات الصغرى التي ظهرت ولا زالت تتتابع

1. ظهور الفتن.
2. تَمَنُّ الموت من كثرة الفتن آخر الزمان.
3. تقارب الزمان.
4. خروج أدعياء النبوة .
5. أن تلد الأمة ربتها.
6. تطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان .
7. وقوع التناكر بين الناس.
8. التسليم على الخاصة.
9. فشو التجارة ومشاركة المرأة زوجها في التجارة.
10. تقارب الأسواق.
11. ضياع الأمانة ورفعها من القلوب.
12. تخوين الأمين واختلال الموازين.
13. إمارة السفهاء.
14. ظهور أعوان الحُكَّام الظلمة.
15. أن يتكلم السفية في أمر العامة.
16. ارتفاع الأراذل والسفهاء.
17. هلاك الوعول وظهور التحوت.
18. الخضاب بالسواد.
19. كثرة النساء وقلة الرجال.
20. كثرة الروم وقلة العرب.
21. كثرة القراء وقلة الفقهاء والعلماء.
22. أخذ الأجرة على قراءة القرآن.
23. اتباع سنن الكافرين.
24. أن يأكل القوي الضعيف.
25. نداعي الأمم على الأمة الإسلامية.
26. الرؤية الصادقة للمؤمن
27. زخرفة البيوت وتزيينها.
28. ارتفاع مباني مكة
29. زخرفة المساجد والتباهي بها.
30. اتخاذ المساجد طرقاً
31. كثرة الزلازل.
32. كثرة موت الفجأة
33. كثرة الشرك وانتشاره.
34. ترك الحكم بما أنزل الله.
35. كثرة القتل.
36. انتشار الزنا وكثرته
37. استحلال الخمر.
38. استحلال المعازف
39. انتشار الربا وأكل الحرام.
40. شهادة الزور وكتمان شهادة الحق
41. كثرة الكذب وإشاعته.
42. كثرة الشحِّ والبخل
43. ظهور قطيعة الأرحام.
44. ظهور الفحش والتفاحش
45. ظهور الكاسيات العاريات.
46. ظهور الرواحل الجديدة كالسيارات وغيرها
47. كثرة السَّمْن في الناس وظهور قوم يشهدون ولا يستشهدون.
48. رفع العلم وقلته وظهور الجهل وكثرته.
49. التماس العلم عند الأصاغر.
50. ذهاب أهل الخير والدين.
51. كثرة القول وترك العمل.
52. ظهور القلم.
53. انتشار الكتب غير القرآن.

ثانياً: الأمارات الصغرى التي ظهرت ولا زالت تتابع

وهي العلامات التي وقعت ولا زالت مستمرة، أو وقعت مرة، ويمكن أن يتكرر وقوعها، ومنها:-

1- ظهور الفتن

وقد بين النبي ﷺ أن ظهور الفتن وكثرتها من أشراط الساعة

- فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا تقوم الساعة حتى يُقبَضَ العلمُ، وتكثرُ الزلازلُ، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج: القتل القتل؛ حتى يكثر فيكم المال فيفيض"

- وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي موسى الأشعري ؓ أن النبي ﷺ قال:

"إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً"

(صحيح الجامع: 2049)

فهذا وصف لزمان تكثر فيه الفتن، وينتشر الفساد بين العباد، وتسوء الأخلاق، ويكثر الشقاق، ويعم البلاء.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني في "الأوسط" والبخاري بنحوه من حديث حذيفة ؓ

قال: قال رسول الله ﷺ: "يأتي على الناس زمانٌ يتمنون فيه الدجال، قلت: يا رسول الله،

بأبي أنت وأمي، ممّ ذاك؟ قال: ممّا يلقون من العناء"

وفي هذا الزمان الذي يعم فيه العناء والبلاء تكثر الشهوات، وتتكاثر على الإنسان الشبهات التي تززع

الإنسان، وتجعله لا يثبت على الإيمان، وربما يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ

- ففي "سنن الترمذي" من حديث أنس بن مالك ؓ عن النبي ﷺ قال:

"يكون بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً،

ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوامٌ دينهم بعرضٍ من الدنيا"

- وعند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

"بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً، أو يُمسي

مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا"

قال النووي ؒ في شرح هذا الحديث:

"معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من

الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة، كترامك ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف ؓ نوعاً من شدائد تلك

الفتن وهو: "أنه يُمسي مؤمناً ثم يُصبح كافراً" أو عكسه - شكّ الراوي -، وهذا لعظم الفتن؛ ينقلب

(شرح مسلم: 320/1)

الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب، والله أعلم.

تنبيهات:

أ- منشأ الفتن من جهة المشرق

لدليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:

"رأس الكفر من هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان، يعني: المشرق"

- وفي رواية البخاري: **"اللهم بارك لنا في يَمَنَّا، قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا، قال:**

اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك في يَمَنَّا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، قال: فأظنه

قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان"

قال الخطابي ﷺ: **"تجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق**

ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور

فهو ما انخفض، وفيه ردٌ على من تَوَهَّمَ أن نجداً موضع مخصوص".

ولهذا قال سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ: **"يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم**

الكبيرة، سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الفتن تجيء من هاهنا، وأوماً

بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان" ففهم سالم بن عبد الله بن عمر أن

المقصود العراق"

ونقل الحافظ ﷺ: **"أن أول الفتن كان من قِبَلِ المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين،**

وذلك ممَّا يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة.

فمن العراق وما والاها ظهر الخوارج والشيعية والباطنية والمعتزلة والجهمية والمجوس والمانوية والمزدكية

والهندوسية والبوذية والقاديانية والبهائية والتتار والدَّجَالُ ويأجوج ومأجوج والإلحاد... وغير ذلك من الفتن

المتنوعة والفرق الضَّالَّة.

ب- جعل الله هذه الفتن لاختبار العباد، وتكفير للسيئات، ورفع في الدرجات

فقد أخرج أبو داود عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"أمّتي هذه مرحومة، ليس عليها عذابٌ في الآخرة، عذابها في الدنيا: الفتن، والزلازل والقتل"

ج - على الإنسان أن يستمسك بدينه في زمن الفتن

فقد أخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"يأتي على الناس زمانٌ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر" (الصحيحة: 2157)
قال القاري كما في "تحفة الأحوذى" (539/6):

"والظاهر أن معنى الحديث: كما لا يمكن القبض على الجمر إلا بصبرٍ شديد، وتحمل غلبة المشقة، كذلك في ذلك الزمان لا يتصور حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم" اهـ

ولهذا يعطي الله تعالى المستمسك بدينه في زمن الفتن أجراً عظيماً

فقد أخرج الطبراني في "الكبير" من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إن من ورائكم زمانٌ صبرٍ، للمستمسك فيه أجرٌ خمسين شهيداً منكم" (صحيح الجامع: 2234)
وفي "الصحيحين" عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"إن من ورائكم أيام الصبر، للمستمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجرٌ خمسين منكم، قالوا: يا نبي الله! أومنهم؟ قال: بل منكم"

2- تمنى الموت من كثرة الفتن آخر الزمان

بداية لا بد أن نعلم أن الإنسان ما ينبغي له أن يتمنى الموت أو يدعو به، فإن ذلك منهى عنه، وعمر المؤمن لا يزيده إلا خيراً، إن كان محسناً إزداد من الخير، وإن كان مسيئاً فإنه يُقلع عن الذنب ويتوب منه. ويدل على هذا ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"لا يتمنين [لا يتمنى] أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يُستعذب"⁽¹⁾

- وفي رواية عند مسلم بلفظ: "لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزداد المؤمن عمره إلا خيراً"
قال الحافظ رضي الله عنه في "الفتح" (136/10):

"وفي قول النبي ﷺ: "إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يُستعذب" فيه إشارة إلى أن المعنى في النهي عن تمنى الموت، والدعاء به هو انقطاع العمل بالموت، فإن الحياة يتسبب منها العمل، والعمل يحصل زيادة الثواب، ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد؛ فهو أفضل الأعمال". اهـ

(1) أي: يسترضي الله، وذلك بالإقلاع عن الذنب، وكثرة الاستغفار، والاستعجاب، وهو طلب الغنى، وهو الرضا، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة، والرجوع عن الذنب، وقيل: "يُستعذب" أي يرجع عن موجب الغضب عليه.

- لكن مع كثرة الفتن وشدتها ربما يتمنى الإنسان الموت ويشتهيها، ولو وجده يُباع لاشتراه وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: "سيأتي عليكم زمانٌ لو وجد أحدكم الموت يُباع لاشتراه" وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمرَّ الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول:
يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء"
وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه"
- وزاد الإمام أحمد: "وما به حب لقاء الله صلى الله عليه وسلم"

قال الحافظ رضي الله عنه في "الفتح" (75/13): "قال ابن بطال: تَعَبُّطُ أهل القبور وتمني الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر" اهـ

وقال ابن عبد البر رضي الله عنه: "ظن بعضهم أن هذا الحديث معارضٌ للنهي عن تمني الموت، وليس كذلك، وإنما في هذا أن هذا القدر سيكون لشدة تنزل بالناس من فساد الحال في الدين أو ضعفه أو خوف ذهابه، لا لضرر ينزل في الجسم. اهـ
كذا قال: "وكأنه يريد: أن النهي عن تمني الموت هو حيث يتعلق بضرر الجسم، وأما إذا كان يتعلق بالدين فلا"

ومما يوضح هذا المعنى ويبينه قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون" (رواه أحمد ومالك)
ومثل هذا قول عمر رضي الله عنه: "اللهم، قد ضعفت قوتي، وكبرت سني، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مقصر" فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض صلى الله عليه وسلم. (رواه مالك)

وعليه كذلك يُحمل قول مريم - عليها السلام - : {يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا} [مريم:23]

قال ابن كثير رضي الله عنه في تفسير هذه الآية (103/3): "فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة، فإنها عرفت أنها ستبئلى وتُمْتَحَن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها في خبرها، وبعدما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية، فقالت:

(ثانياً: علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ولا زالت تتتابع)

{يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا} أي: قبل هذا الحال، {وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا} أي: لم أُخْلَق ولم أكن شيئاً. اهـ

فخلاصة الأمر: أن الإنسان لا يتمنى الموت لضرب نزل به في دنياه، أما إذا كان الضرب في دينه فليتمنى الموت، وباطن الأرض خير له من ظاهرها.

ويدل على هذا ما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لا يتمنين أحدكم الموت لضرب نزل به - وفي رواية: من ضرب أصابه - فإذا كان لابد فاعلاً، فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي"
قال النووي رحمته الله في شرح هذا الحديث:

"فيه التصريح بكراهة تمنى الموت لضرب نزل به، من مرض أو فاقة أو محنة من عدو... أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضرراً في دينه أو فتنة فيه فلا كراهة فيه. اهـ

وعليه يحمل قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

"ويل للعرب من شرّ قد اقترب، موتوا إن استطعتم"

قال القرطبي رحمته الله كما في "التذكرة" (1141/3):

"وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها حين جعل الموت خيراً من مباشرتها، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يلقي الرجل، فيقول له: "مت إن استطعت، فيقول له: لم، قال: تموت وأنت تدري على ما تموت، خير لك من أن تموت وأنت لا تدري على ما تموت عليه".

وهذا ما بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"اثنان يكرهما ابن آدم: الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل الحساب"

(الصحيحة: 813)

يقول سهل التستري:

"لا يتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل ما بعد الموت، ورجل يفر من قدر الله عز وجل - أي يفر من الفتن، ورجل مشتاق محب للقاء الله عز وجل.

3- تقارب الزمان

أخبر النبي ﷺ أن من علامات قُرب السَّاعة أن يتقارب الزمان
فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:
"لا تقوم الساعة حتى يُقبَضَ العلمُ، وتكثرُ الزلازلُ، ويتقارب الزمان... " الحديث

- وعند البخاري ومسلم بلفظ: "إن من أشرط السَّاعة أن يتقاربَ الزمان، وينقص العلم،
وتظهر الفتن، ويلقى الشح... " الحديث

- وفي رواية أبي داود: "يتقارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح"

- وعند البخاري: "لا تقوم الساعة حتى يقتتلَ فنتان عظيمتان... ويتقارب الزمان، وتظهر
الفتن، ويكثر الهرج"

وقد اختلف أهل العلم في قول النبي ﷺ: "يتقارب الزمان" على أقوال منها:-

1- نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب قيام السَّاعة، فيصير الانتفاع
باليوم كالانتفاع بالساعة الواحدة.

2- المراد بتقارب الزمان: استواء الليل والنهار.

3- قرب يوم القيامة، واستدلوا لذلك بحديث رسول الله ﷺ:

"إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب"

4- المراد: تقارب أهل ذلك الزمان في الشرِّ والفساد والجهل.

5- تسارع الدول إلى الفناء والانقضاء والزوال، فلا تطول مددهم لكثرة الفتن.

6- قال الخطابي رحمه الله: "هم من استلذذ العيش يريد - والله أعلم - أنه يقع عند خروج المهدي ووقوع الأمانة في الأرض وغلبة العدل فيها، فيستلذذ العيش عند ذلك وتستقصر مدته، وما زال الناس يستقرون مدة أيام الرخاء وإن طالت، ويستطيلون مدة المكروه وإن قصرت.

وتعقب هذا بقول الكرماني: "إن هذا لا يناسب أخواته من ظهور الفتن وكثرة الهرج وغيرها"
(نقله عنهما الحافظ رحمه الله في "الفتح": 16/13)

7- ما ذكره الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في تعليقه على "فتح الباري" (522/2):

"أن التقارب المذكور في الحديث يفسر بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم، وقصر زمن المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك. والله أعلم.

والراجح: أن المراد بـ"تقارب الزمان": هو قصر الزمان

ويؤيد هذا ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة"⁽¹⁾

(صحيح الجامع: 7422)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله كما في "فتح الباري" (66/20):

"قد وجد في زماننا هذا فإننا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا. اهـ
فالمقصود بـ"تقارب الزمان" في هذه الأحاديث: هو سرعة مرور الزمان؛ لأن الزمان كما يطوله الله تعالى في أيام الدجال، فإنه كذلك يُقصره حيث يشاء، ويفعل الله ما يريد.

(1) السعفة: الخوصة، ورقة النخيل، والمعنى: أن الساعة من الزمان في ذلك الوقت تكون كمنار السعفة تشتعل سريعاً وتنتهي.

4- خروج أدعياء النبوة

أخبر الرسول ﷺ أنه سيخرج في هذه الأمة دجالون يدعون النبوة، وقد أخبر الرسول ﷺ أن عددهم قريب من ثلاثين، وحددهم في بعض الأحاديث بسبعة وعشرين.

- ففي "صحيح البخاري ومسلم" عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

"لا تقوم الساعة حتى يُبعث⁽¹⁾ دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلٌّ يزعم أنه رسول الله"

- وفي "صحيح مسلم عن ثوبان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "وإنه سيكون في أمتي

كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم الأنبياء، لا نبي بعدي"

- وأخرج أبو داود والترمذي عن ثوبان ؓ أن النبي ﷺ قال:

"لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون

في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي"

وعند الإمام أحمد: "بين يدي الساعة قريب من ثلاثين دجالاً، كلهم يقول: أنا نبي"

قال ابن كثير ؓ في "النهاية" (49/1): "وهذا إسناد جيد تفرد به أحمد". اهـ

وأخرج الإمام مسلم عن جابر بن سمرة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"إن بين يدي الساعة كذابين، قال جابر: "فاحذروهم"

وقد حددهم النبي ﷺ في بعض الروايات بسبعة وعشرين

ففي "مسند الإمام أحمد" و"مشكل الآثار" للطحاوي والبخاري و"معجم الطبراني الكبير

والأوسط" بإسناد صحيح عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: "في أمتي كذابون، ودجالون سبعة

وعشرين، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين، لا نبي بعدي" (السلسلة الصحيحة: 1999)

• وجاء في بعض الروايات تحديداً لبعض هؤلاء الكذابين وذكر أسماءهم

-فقد أخرج ابن حبان بسند صحيح عن جابر بن عبد الله ؓ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

"إن بين يدي الساعة كذابين، منهم صاحب اليمامة، ومنهم صاحب صنعاء العنسي،

ومنهم صاحب حمير، ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة"

- وفي "مسند الإمام أحمد" بسند صحيح عن النبي ﷺ قال:

"وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الكذاب"

(1) يُبعث: يعني يخرج ويظهر.

• وقد وقعت هذه العلامة من علامات السّاعة، فخرج كثيرٌ من أدعياء النبوة، فمنهم من خرج في زمن النبوة، ومنهم من خرج في عهد الصحابة رضي الله عنهم، ولا يزالون يظهرون حتى عصرنا هذا، وآخرهم المسيح الدّجال.

(1) فادّعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم الأسود العنسي في اليمن، حيث ارتدّ عن الإسلام، وادّعى النبوة، وكانت ردة أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تحرك بمن معه من المقاتلين، واستولى على جميع أجزاء اليمن خلال ثلاثة أشهر أو أربعة، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم رسالة إلى المسلمين في اليمن، يحثهم على مقاتلته، فاستجابوا وقتلوه في منزله بمعاونة زوجته التي تزوّجها قسراً بعد أن قتل زوجها، وقد كانت مؤمنة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبمقتله ظهر الإسلام وأهله في اليمن، وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد أتى إليه الخبر في ليلته من السماء فأخبر أصحابه، وقد دامت فترة ملك هذا الكاذب من حين ظهوره إلى أن قُتل ثلاثة أشهر، وقيل: أربعة أشهر.

(2) ومنهم مسيلمة الكذاب باليمامة، والذي ظهر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قُتل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وكان مسيلمة الكذاب يزعم أن الوحي يأتيه في الظلام، وقد أرسل إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيشاً بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، وشرحيل بن حسنة رضي الله عنه، فاستقبلهم مسيلمة بجيش كان قوامه أربعين ألف مقاتل، ودارت بينهم معارك حاسمة، وكانت الدائرة فيها على مسيلمة وجيشه، وقُتل مسيلمة بيد وحشي بن حرب رضي الله عنه، وانتصر الحق، وارتفعت راية التوحيد.

(3) ومنهم سجاح بنت الحارث التغلبية، كانت من نصارى العرب، وقد ادّعت النبوة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم؛ فالتفت حولها أناس كثير من قومها وغيرهم، وغزت بهم القبائل المجاورة، وسارت حتى وصلت اليمامة، والتقت بمسيلمة وصدّفته، وتزوّجها، ولما قُتل مسيلمة رجعت إلى بلادها، وأقامت في قومها بني تغلب، ثم أسلمت وحسن إسلامها، وانتقلت بعد ذلك إلى البصرة وماتت بها.

(4) ومنهم طليحة بن خويلد الأسدي، وقد قاتله المسلمون مراراً، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، ولحق بجيش المسلمين، وأبلى في الجهاد في سبيل الله بلاءً حسناً، واستشهد بنهاوند رضي الله عنه.

(5) وفي عصر التابعين خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقد أخرج أبو داود حديثاً وفيه:
"حتى يخرج ثلاثون كذاباً دجالاً، كلهم يكذب على الله ورسوله، فسئل عبدة السّلماني:
أترى هذا منهم - يعني المختار؟ - فقال عبدة: أما إنه من الرعوس"

وأخرج الإمام مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها في قصة مقتل ابنها عبد الله بن الزبير، قالت وهي تخاطب الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قاد الجيش لقتال عبد الله بن الزبير: **"أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومُبِيراً⁽¹⁾، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المُبِيرُ فلا إخالك إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها"**
قال الإمام النووي رحمته الله كما في "شرح مسلم" (328/8):

"وقولها في الكذاب: **"فرايناه"** تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب، ومن قبحه ادّعى أن جبريل عليه السلام يأتيه، واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا "المختار بن أبي عبيد"، وبالمبِير "الحجاج بن يوسف"، والله أعلم. اهـ

وأظهر المختار في بداية خروجه التَّشيعَ أولاً، فالتفت حوله جماعة كثيرة من الشيعة، وزعم أن جبريل عليه السلام ينزل عليه، وقد دارت بينه وبين مصعب بن الزبير معارك قُتِلَ فيها المختار.

(6) ومنهم الحارث بن سعيد الكذاب، والذي أظهر التَّعبُدَ في دمشق، ثم زعم أنه نبي، ولما علم أن الخبر وصل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان اختفى، فاستطاع رجلاً من أهل البصرة أن يعرف مكانه، وتظاهر له بالتصديق، فأمر الحارث ألا يُحجَبَ منه هذا الرجل متى أراد الدخول عليه، فأوصل هذا الرجل الخبر إلى عبد الملك، فأرسل معه جنوداً وقبضوا عليه، وجيء به إلى عبد الملك، فأمر عبد الملك رجالاً من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويُعلِّمُوهُ أن هذا من الشيطان؛ فأبى أن يقبل منهم ويتوب، فقتله عبد الملك بن مروان.

(7) وفي العصر الحديث قبل أكثر من قرن، ظهر بالهند رجل يُدعى "ميرزا غلام أحمد القادياني"، ادّعى النبوة والمهدوية، ثم ادّعى أنه عيسى، وكان يزعم أنه يتلقى الوحي من السماء، كما زعم أن الله أخبر بأنه سيعيش ثمانين سنة، وصار له اتباع، وصدّق دعوته طائفة سُمُّوا بالقاديانية، نسبة إلى قريته بالهند (قاديان)، وسُمُّوا بالأحمدية أيضاً نسبة إليه؛ لأنه سمى نفسه أحمد.

- وقد قام العلماء وردُّوا عليه، وبيَّنوا أنه دَجَّال، منهم العالم الجليل "ثناء الله الأمرتسري"، وكان من أشد العلماء عليه، حتى أنه في عام (1326هـ - 1908م) تحدّى القادياني الشيخ ثناء الله، بأن الكاذب المفترى من الرجلين سيموت، ودعا الله أن يقبض المُبْطِلَ في حياة صاحبه، ويسلط عليه داء الطاعون؛ يكون فيه حتفه.

(1) المُبِير: القاتل السَّفاح، كثير القتل.

- وبعد سنة أصيب القادياني بدعوته، وقد ذكر أبو زوجته نهايته، فقال: لما اشتد مرضه أيقظني، فذهبت إليه، ورأيت ما يعانيه من الألم، فخطبني قائلاً: أصبت بالكوليرا، ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات.

(8) وممن ظهر أيضاً "المرزا علي محمد رضا الشيرازي"، الذي أسس الحركة البابية سنة (1260هـ) تحت رعاية اليهودية العالمية، والاستعمار الروسي، والاستعمار الإنجليزي بهدف تفكيك وحدة المسلمين، وأعلن أنه الباب، ولما مات قام بالأمر من بعده المرزا حسين علي الملقب بالبهاء، وسمي الحركة بـ(البهائية)، وله كتاب اسمه (الأقدس)

(9) وآخر من ادعى النبوة في هذا الزمان هو "محمود محمد طه السوداني"، الذي أضل كثيراً من الناس بكتابه ومقالاته، وقد أُعِدِم في سنة 1985م، أعدمته حكومة السودان بسبب ضلاله وكفره وردته.

تنبيهات:

أ- لا يُستبعد أن يظهر دجالون يدعون النبوة في زماننا هذا كما حدث أو حتى يخرجون بعد زماننا،
ودليل ذلك:-

ما أخرجه البخاري والإمام أحمد واللفظ له عن سمرة بن جندب رضي الله عنه:

"أن النبي ﷺ قال في خطبته يوم كسفت الشمس على عهده: والله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقون من دنياكم وآخرتكم، وإنه والله، لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، آخرهم الأعور الكذاب".

ب- الذين خرجوا وزعموا وادّعوا النبوة عدد لا يُحصى، والتاريخ والواقع يشهد بذلك، لكن أخبر النبي ﷺ أن مدّعي النبوة ثلاثون، وهذا ليس فيه أي تعارض، فهؤلاء الثلاثين الذين ذكروهم النبي ﷺ هم الذين يكون لهم شهرة ودولة وأتباع، أما غيرهم ممن ليس له كذلك، فلا يُعد من الثلاثين.

ت- وقع في بعض الأحاديث أن عدد من يدعي النبوة "سبعة وعشرون" كما مرّ بنا في رواية الإمام أحمد، لكن أكثر الروايات تذكر أنهم "ثلاثون"، فلعلها على طريقة جبر الكسر، بدليل أن بعض الروايات صرحت بذلك كما في رواية الصحيحين، **حيث قال الحبيب النبي ﷺ:**

"وحتى يُبعث كذابون دجالون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم انه رسول الله..." الحديث

5- أن تلد الأمة ربّتها

ومن علامات الساعة أن تلد الأمة المملوكة ولدًا يكون له السيادة عليها

- كما جاء في الحديث الطويل الذي أخرجه الإمام مسلم وفيه:

"أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الساعة؟ فقال النبي ﷺ: ما المسئول

عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربّتها"

- وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام:

"وسأخبرك عن أشراتها: إذا ولدت الأمة ربّتها"

- وفي رواية لمسلم: "إذا ولدت الأمة ربّها"

• واختلف العلماء في معنى قول النبي ﷺ: "إذا ولدت الأمة ربّها" على أقوال:-

منها: أن يطأ الرجل الحرُّ أُمَّتَهُ - أي جاريته المملوكة بمِلكِ اليمين - فتحمل منه ثم تنجب ولدًا، فيصبح الولد شاباً حراً، وأبوه حيٌّ وأُمُّه لا تزال أُمَّةً مملوكةً، فيكون الولد بمثابة السَيِّدِ لأُمَّه.

وقيل: بأن الإماء يلدن الملوك، فتصير الأمُّ من جملة الرّعية، والملك سيد رعيته.

(شرح النووي على مسلم: 1/158)

وقيل: أن يبيع السادة أمهات أولادهم؛ فيتداولونهم إلى أن يشتري الولد أُمَّه وهو لا يعرفها.

وقيل: هو أن يكثر العقوق؛ فيعامل الولد أُمَّه معاملة السيد لأُمَّتِهِ من القسوة، والجفاء، والإهانة، والسبِّ، والضرب.

وقيل: هذا كناية عن قلب الموازين.

6- تطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان

من علامات الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ وظهرت، هي تطاول أهل البوادي وأشباههم في البنيان، فيبنون العمارات والأبنية متعددة الأدوار، ويتباهون في ارتفاعها، ويتنافسون في ذلك، بعد أن كانوا حفاة عراة يرعون الغنم. **ودليل ذلك:-**

- ما أخرجه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

"بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياض الثياب، شديد سواد الشعر- وفي الحديث - قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة (1) العراة (2) العالة رعاء الشاء (3) يتطاولون في البنيان (4)..." الحديث

- وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للسائل عن وقت قيام الساعة:

"ولكن سأحدثك عن أشراتها... وإذا تطاول رعاء البهائم في البنيان..." الحديث

وفي رواية في "الصحيحين": "لا تقوم الساعة... وحتى يتطاول الناس في البنيان".

وعند الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر جبريل عليه السلام بأمارات الساعة فقال: "إذا رأيت الأمة ولدت ربّتها أو ربّها، ورأيت أصحاب الشاء يتطاولون في البنيان ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رعوس الناس، فذلك من معالم الساعة وأشراتها، قال: يا رسول الله، ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال: العرب". (السلسلة الصحيحة: 1345)

قال ابن رجب رحمته الله في تعليقه على الحديث: "مضمون ما ذكر من أشرط الساعة في هذا الحديث

يرجع إلى أن الأمور تُؤسّد إلى غير أهلها"، كما قال النبي ﷺ لَمَنْ سألَهُ عن الساعة:

"إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" فإذا صار الحفاة العراة رعاء الشاء، وهم أهل الجهل والجفاء رعوس الناس وأصحاب الثروة والأموال حتى يتطاولوا في البنيان فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا.

(جامع العلوم والحكم: ص 39)

(1) الحفاة: الذين لا نعل بأرجلهم.

(2) العراة: الذين لا ثوب يستر أجسادهم.

(3) رعاء الشاء: حراس الغنم، وهم أشد الناس فقراً.

(4) يتطاولون في البنيان: هو التفاخر بالعمارات الشاهقة والتنافس فيها مع زخرفتها داخلاً وخارجاً، بعد أن كان أصحابها يعيشون في خيام الشعر، ويرعون الشاء حفاة عراة لشدة فقرهم، وقد حدث ولزال يحدث، حيث بسطت الدنيا للأعراب، فزادت أدوار بعض أبنيتهم عن الثلاثين، وفي ذلك معجزة رأها الناس اليوم، ولم يرها أهل القرن السالف.

7- وقوع التناكر بين الناس

فقد أخرج الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه قال:

"سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة؟ فقال: علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بمشاريطها، وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجاً، قالوا: يا رسول الله، الفتنة قد عرفناها، فالهرج ما هو؟ قال: "بلسان الحبشة: القتل، ويلقى بين الناس التناكر، فلا يكاد أحد يعرف أحداً"

(قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (309/7): ورجاله رجال الصحيح)

وتلك العلامة ظهرت بين الخواص، فضلاً عن العوام، فالتناكر انتشر بين المسلمين انتشار النار في الهشيم، والعلاقات بين الناس بُنيت على المصالح الشخصية الواهية، والواقع يشير بقوة لصدق هذا الحديث، فقد أصبح كثير من الناس لا يكاد يعرف أقاربه، حتى ربما التقى الأقارب في أماكن عامة فلا يعرف بعضهم بعضاً، وأصبح الجار لا يعرف جاره، وغير ذلك من صور التفريط والتي تستشري وتنتشر في آخر الزمان، ولعل ذلك من كثرة الفتن وانشغال الناس كل بحاله.

أضف إلى هذا: أن كثرة الفتن والمحن، وكثرة القتال بين الناس أدّى إلى وقوع التناكر بينهم، بالإضافة إلى أن الدنيا دخلت قلوب الناس واستولت عليها، وكلّ يعمل لحظ نفسه، فكثرت الأنانية، وسيطرت عليهم الأهواء والشهوات؛ فوقع التناكر بين الناس.

8- التسليم على الخاصة

ومن علامات الساعة تسليم الخاصة، وهو أن لا يُلقى الرجل السلام إلا على مَنْ يعرفه، ويدع السلام على مَنْ لا يعرف.

- أخرج الإمام أحمد عن طارق بن شهاب قال :

كنا عند عبد الله جلوساً، فجاء رجلٌ فقال: قد أقيمت الصلاة، فقام وقمنا معه، فلما دخلنا المسجد رأينا الناس ركوعاً في مقدم المسجد، فكبرَ وركع وركعنا، ثم مشينا وصنعنا مثل الذي صنع، فمرَّ رجلٌ يسرع، فقال: السلام عليك يا أبا عبد الرحمن، فقال: صدق الله ورسوله، فلما صلينا ورجعنا دخل على أهله جلسنا، فقال بعضنا لبعض: أما سمعتم رده على الرجل: صدق الله وبلغت رسله، أيكم يسأله؟ فقال طارق: أنا أسأله، فسأله حين خرج، فذكر عن النبي ﷺ: "إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشوّ التجار؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم"

(السلسلة الصحيحة: 647)

- وأخرج الإمام أحمد كذلك وابن خزيمة عن أبي الجعد قال :

"لقى عبد الله رجلاً، فقال: السلام عليك يا بن مسعود، فقال عبد الله: صدق الله ورسوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أشراط الساعة، أن يمرَّ الرجلُ في المسجد لا يُصليّ فيه ركعتين، وألا يسلم الرجل إلا على مَنْ يعرف"

(السلسلة الصحيحة: 648)

- وفي رواية عند أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

"إن من أشراط الساعة: أن يُسلم الرجل على الرجل لا يُسلم عليه إلا للمعرفة"

(قال أحمد شاكر: إسناده صحيح).

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد أيضاً:

"إن من أشراط الساعة إذا كانت التّحية على المعرفة"

وعند الطبراني: "لا تكون الساعة حتى يكون السلام على المعرفة"، والتسليم على المعرفة فقط

خلاف السنّة، التي دعت إلى إفشاء السلام وإلقائه على مَنْ عرفت ومَنْ لم تعرف.

ففي "الصحيحين": "أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: تُطعم الطعام، وتقرأ

السلام على مَنْ عرفت ومَنْ لم تعرف"

• وإلقاء السلام سبب للمحبة والألفة بين الناس وهي سبب لدخول الجنة

فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا؛ ولا تؤمنوا حتى

تحابوا، أولادكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"

9- فشو التجارة، ومشاركة المرأة لزوجها في التجارة، وسيطرة بعض التجار على السوق

جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والبخاري والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة".

وفشو التجارة هو كثرتها وانتشارها واشتغال الناس بها لسهولة أمرها، ممّا دعى إلى أن المرأة تشارك زوجها في التجارة لغرض جمع المال، لكن مع غياب الوازع الديني، وانتشار الفساد، وعدم تحري الحلال يقع الناس في الحرام؛ ولا يباليون من أي مصدر كان هذا المال، أمن حلال أم من حرام؟ وهذا ما أخبر به الحبيب النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام؟"

• فالخلاصة أن فشو التجارة بهذا الشكل علامة من علامات الساعة.

وقد مر بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن طارق بن شهاب قال:

"كنا عند عبد الله جلوساً... فذكر الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال: "إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم"

وأخرج النسائي عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أشراط الساعة: أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر الجهل، ويبيع الرجل البيع، فيقول: لا. حتى أستامر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد"

وقول الرسول ﷺ: "يبيع الرجل البيع فيقول: لا. حتى أستامر تاجر بني فلان".

يفهم منه أن تجاراً كباراً ولعلمهم أصحاب رعوس الأموال أو الوكلاء المعتمدون للسلع تصديراً أو استيراداً، لعل هؤلاء يسيطرون على السوق ويتحكمون في الأسعار، فلا يستطيع التجار الصغار التصرف بتجارتهم إلا بإذنهم.

- أو يشترط عند البيع إثبات الخيار لتاجر آخر.

وقوله ﷺ: "ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد" وذلك لأن النبي ﷺ أخبر في أحاديث أخرى بانتشار الكتابة، وهذا قد تمّ في هذا العصر من انتشار أجهزة الكتابة الحديثة مثل أجهزة الكمبيوتر، والهاتف المحمول، وأجهزة ترجمة الصوت إلى نصوص مكتوبة... وما شابه ذلك؛ فينشأ جيل لا يعرف الكتابة باليد أو لا يتقنها

وذكر السندي في "حاشيته على سنن النسائي":

"أن المراد هنا أن يلتمس ممن يكتب عقد التجارة ويتقن شروط البيع وأحكامه، فيكتب بين الناس احتساباً غير طامع في مكافأة فلا يوجد.

10- تقارب الأسواق

وهذه علامة من علامات الساعة وقد ظهرت كما أخبر النبي ﷺ

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

"لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق"

(السلسلة الصحيحة: 2772)

وأخرج ابن حبان عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

"يوشك أن لا تقوم الساعة حتى يُفْبَضَ العلم، وتظهر الفتن، ويكثر الكذب، ويتقارب

الزمان، وتتقارب الأسواق"

والمقصود بتقارب الأسواق هو:-

الأول: سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه من خلال وسائل الاتصال.

الثاني: سرعة السير من سوق إلى سوق ولو كانت مسافة الطريق بعيدة جداً، وذلك عن طريق وسائل

المواصلات السريعة، التي جعلت المدن متقاربة، وهذا الذي رجّحه الشيخ عبد العزيز بن باز ؓ

الثالث: مقارنة بعضها بعضاً في الأسعار، واقتداء بعض أهلها ببعض في الزيادة والنقصان - والله

أعلم.

11- ضياع الأمانة ورفعها من القلوب

بداية لا بد أن نعلم أن الأصل في الإنسان أنه أمين

يقول محمد رشيد رضا رحمه الله كما في "تفسيره المنار" (176/5):

"الأصل أن يكون الناس أمناء، يقومون بوازع الفطرة والدين والخيانة خلاف الأصل. اهـ
ومما يدل على أن الأمانة هي الأصل وأنها مركوزة في الفطرة
ما أخرجه البخاري ومسلم عن حذيفة قال:

"حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: أن الأمانة نزلت في
جَدْرِ (1) قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها، قال:
ينام الرجل نومه فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوَكْتِ (2)، ثم ينام النومة
فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المَجْلِ (3)، كجمرٍ دحرجته على رجلك فنَفَطَ (4)، فتراه
مُنْتَبِراً (5) وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال:
إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه، وما أجده! وما في قلبه
مثقال حبة خردلٍ من إيمان، يقول حذيفة: ولقد أتى عليَّ زمانٌ ولا أبالي أيكم بايعت (6) لئن
كان مسلماً رده عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانياً رده عليَّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت
أبايع (7) إلا فلاناً وفلاناً"

(1) الجَدْر: الأصل من كل شيء.

(2) الوَكْت: جمع "الوكتة"، وهو الأثر اليسير في الشيء كالنقطة فيه، ومعني الحديث يكون لا أثر في قلبه.

(3) المَجْل: قشور رقيقة يجمع فيها ماء تحت الجلد من أثر العمل تشبه البثر.

(4) نفط: أي روم وامتلاً ماء. قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (39/13): "وحاصل الخبر أنه أنذر برفع الأمانة، وأن الموصوف بالأمانة يسلبها حتى يصير خائناً بعد أن كان أميناً، وهذا إنما يقع على ما هو شاهد لمن خالط أهل الخيانة، فإنه يصير خائناً لأن القرين يقتدي بقرينه.

(5) منتبراً: مرتفعاً.

(6) قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (39/13): "قوله: "ولقد أتى عليَّ زمانٌ" يشير إلى حال الأمانة أخذ في النقص من ذلك الزمان، وكانت وفاة حذيفة في أول سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بقليل، فأدرك بعض الزمن الذي وقع فيه التغيير، فأشار إليه. قال ابن التين: "الأمانة كل ما يخفى ولا يعلمه إلا الله من المكلف. وعن ابن عباس رضي الله عنه: "هي الفرائض التي أمرُوا بها ونهوا عنها. وقيل: هي الطاعة. وقيل: التكليف. وقيل: العهد الذي أخذه الله على العباد.

(7) المراد بقوله: "بايعت": من البيع والشراء، أي: أنه كان في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الصحابة يطمئن في بيعه وشرائه إلى من يبايعهم ويشترى منهم؛ لتوفر الأمانة وتوطنها في قلوب الناس، وحتى إن حديث خيانة أو خطأ... أو نحو ذلك من بعض البائعين والمشتريين، فالوالي أو القاضي أو الساعي أو الأمير يرد إليّ مظلمتي وحقي، أما الآن فقلّلت الأمانة وقلّ من يبحثون عن رد الحقوق إلى أهلها، والأخذ على يد الظالم، فدفعني ذلك إلى أن لا أبيع ولا أشتري إلا مع من أتق به والله أعلم.

وقد بيّن النبي ﷺ في الحديث السابق أن سبب ضياع الأمانة؛ فساد سرائر الناس، وقلة إيمانهم؛ لأن هناك علاقة وثيقة بين الإيمان والأمانة؛ فإذا ضاع الإيمان فلا أمانة
فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان عن أنس رضي الله عنه قال:

"ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"

(صحيح الجامع: 7179)

وكان عروة بن الزبير رضي الله عنه يقول: **"ما نقصت أمانة الرجل إلا نقص إيمانه"**

ولذلك لا يتصور من المؤمن خيانة

فقد أخرج البيهقي في "سننه" وأبو يعلى في "مسنده" عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب"**

لكن مع تطاول الزمان وفساد الأخلاق تُرْفَع الأمانة، وهي أول ما سترفع من قلوب الناس

فقد أخرج الحكيم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورب مُصَلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى"
(صحيح الجامع: 2575).

فإذا ضاعت الأمانة ورُفِعَت من قلوب الرجال فانتظر الساعة؛ لأنه ستنقلب الموازين، وتفسد سرائر الناس، ويتولى مقاليد الأمور غير الأمانة؛ فتسود الفوضى، ويعم الفساد، وهذا أكبر مقتل يفسد نظام الحياة.

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **"بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم؛ جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكّره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: هاأنا يا رسول الله. قال: فإذا ضيَعَتِ الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِدَ (1) الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة"**

فبيّن النبي ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات الساعة

ومن مظاهر إضاعة الأمانة إسناد الأمور المتعلقة بالآخرة أو بالدنيا أو بهما معاً إلى غير مستحقيها، كالقضاء والإفتاء والتدريس والقيادات وسائر الوظائف العامة، وإنما دلّ ذلك على دنو الساعة لما فيه من خيانة للرعاة والرعية؛ ينتج عنها تفويت الحقوق وإضاعة المصالح.

(1) قال الحافظ في "الفتح" (143/1): قوله: "إذا وسد": أي أسند، وأصله من الوسادة، وكان من شأن الأمير عندهم إذا جلس أن تنتهي تحته وسادة، فقوله: "وسد" أي جعل له غير أهله وساداً؛ فتكون "إلى" بمعنى "للام" وأتى بها ليدل على تضمين معنى "أسند"، ولفظ محمد بن سنان في "الرقائق": "أسند". ثم قال ﷺ: "وإسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراف".

12- تخوين الأمين واختلال الموازين

وهذه من علامات الساعة، وقد تقدّم في العلامة السابقة أن رفع الأمانة من علامات الساعة، وأن يُوسد الأمر إلى غير أهله، وكذلك من علامات الساعة تخوين الأمين، وهو أن يُشكّ فيه، ولا يوثق في أمانته وصدقه، بينما يوثق في الكاذب والمنافق، وهذا قلب للحقائق واختلال الموازين. وهذا ما أخبر به الرسول الأمين ﷺ

فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن من أشراط الساعة: الفحش والتفحش، وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وانتمان الخائن"

وعند الإمام أحمد أيضاً وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"سيأتي على الناس سنوات خداعات - وفي رواية: سنون خداعة - يصدق فيها الكاذب،

ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين"

(السلسلة الصحيحة: 1888) (صحيح الجامع: 3650).

وقال الشعبي رضي الله عنه: "لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلاً، والجهل علماً"

وعند الإمام أحمد كذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن أمام الناس سنين خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، فيخون فيها

الأمين، ويؤتمن الخائن"

وأخرج البخاري عن عمرو بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"إن بين يدي الساعة سنين خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن

فيها الخائن، ويخون فيها الأمين..." الحديث.

فقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث: أن المقاييس التي يقوم بها الرجال تختل قبل قيام الساعة، فيقبل

قول الكذاب ويصدق، ويرد قول الصادق، ويؤتمن الخونة على الأموال والأعراض، ويخون الأمانة

ويتهمون، ويتكلم التافهون من الرجال في القضايا التي تهم عامة الناس وقد كان كما أخبر النبي ﷺ.

13- إِمارة السفهاء

من المعلوم أن صلاح الأمة يكون بصلاح أمرائهم، وفساد الأمة يكون بفساد أمرائهم.

وكان الليث بن سعد رضي الله عنه يقول:

"من رأس العين يأتي الكدر، وإذا صفا رأس العين صفت السواقي"

وكتب الحسن البصري رضي الله عنه إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال له في وصف الأمير العادل:

"الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد

بفساده".

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيأتي على الناس زمانٌ يتولَّى عليهم فيه السفهاء الذين لا يهتدون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم ولا يستنُّون بسنته.

فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة

رضي الله عنه: "أعاذك الله يا كعب من إِمارة السفهاء⁽¹⁾ قال: ما إِمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال:

أمرء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي، ولا يستنُّون بسنَّتي، فمن صدَّقهم بكذبهم وأعانهم

على ظلمهم؛ فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون على حوضي، ومن لم يُصدِّقهم

بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم؛ فأولئك مني وأنا منهم ويردون على حوضي. يا كعب بن

عجرة: الصومُ جُنَّةٌ، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان - أو قال: برهان - يا كعب

بن عجرة: الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها"

وهذه العلامة: (إِمارة السفهاء) هي نتيجة طبيعية للعلامة السابقة عندما يُوسَّد الأمر إلى غير أهله،

وتتعرض الأحوال وتتقلب الموازين؛ حيث يصدق الكاذب، ويكذب الصادق، ويؤتمن الخائن، ويخون

الأمين، ويتكلم الجاهل، ويسكت العالم، فلا عجب أن ترى الذي يقود الأمة ويمسك بزمامها هم السفهاء.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني بسند فيه مقال:

"لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها"

والمنافقون كما هو معلوم قليلو الإيمان عديمو الخشية كثيرو الكذب، لكن ومع الأسف يكونون هم سادة

القوم ورؤساؤهم.

(1) السفهاء: جمع "سفيه"، وهو خفيف العقل، قليل التدبُّر، الذي لا يحسن تدبير شئون نفسه فضلاً عن شؤن غيره، والسفه في اللغة: "الخفة"، يقال: ثوب سفيه، أي ثوب خفيف.

وصدق النبي ﷺ حيث قال: "إن من أشراط الساعة أن يوضع الأخيار ويرفع الأشرار"

(أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو ؓ)

وعند الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

"من اقترب الساعة أن تُرفع الأشرار، ويُوضع الأخيار، ويُقْبَح القول، وَيَحْزُن العمل، وتتلى في القوم المثناة. قلت: وما المثناة؟ قال: ما كتب سوى كتاب الله".

ونكره في "مجمع الزوائد" بلفظ: "ويحسن العمل، وتُقرى في القوم المساءة. قلت: وما المساءة؟ قال: ما كتب سوى كتاب الله".

وما أكثر الكتب والصحف والإذاعات ووسائل المعلومات المضللة اليوم.

14- ظهور أعوان الحكام الظلمة الذين يجلدون ويضربون الناس

يكثر الظلم في آخر الزمان حتى إن الرجال الذين يوكل إليهم القيام على الأمن وردع الظالمين يفسدون، فإذا بهم يتحوّلون إلى ظلمة، يجلدون ظهور العباد بسياطهم، وهذا كثير مُشَاهَد في ديار الإسلام اليوم.

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم والطبراني في "الكبير" بإسناد صحيح عن أبي أمامة ؓ

قال: قال رسول الله ﷺ: "يكون في آخر الزمان - وعند الحاكم بلفظ: يخرج في هذه الأمة

في آخر الزمان - رجالٌ معهم سياط كأنها أذنان البقر، يغدون في سخط الله، ويروحون

في غضبه"

(السلسلة الصحيحة: 1893).

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

"إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قومًا، يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته، في

أيديهم مثل أذنان البقر".

أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن رافع - مولى أم سلمة - قال: سمعت أبا هريرة ؓ

يقول: قال رسول الله ﷺ:

"يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قومًا في أيديهم مثل أذنان البقر، يغدون في غضب الله،

ويروحون في سخط الله".

وهذه الأحاديث وإن لم يكن فيها التصريح بأنهم يضربون الناس؛ إلا أن وصفهم بالسخط واللعنة يشير إلى كثرة ظلمهم واعتدائهم على الناس، بل صرح النبي ﷺ في حديث آخر أنهم يضربون الناس.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رعوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".

قال النووي رحمته الله كما في "شرح مسلم" (190/17):

وهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به ﷺ، فأما أصحاب السياط فهم غلمان والي الشرطة.

• وقد جاء في بعض الأحاديث صراحةً أنهم هم الشرطة

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" عن أبي أمامة رضي الله عنه عن

النبي ﷺ قال: "سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط

الله، فإياك أن تكون من بطانتهم"

(الصحيحة: 1813)، (صحيح الجامع: 3666)

15- أن يتكلم السفية في أمر العامة

فعندما تتغير الأحوال وتبديل المفاهيم وتنقلب الموازين، تجد أن الذي يتكلم في أمور العامة وقضاياهم هو الرجل الفاسق السفية.

- أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"قبل الساعة سنوات خداعات، يُكذَّب فيها الصادق، ويُصدَّق فيها الكاذب، ويُخون فيها الأمين، ويُؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرؤيبضة⁽¹⁾".

- وفي رواية أخرى عند أحمد أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إنها ستأتي على الناس سنوات خداعة، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخون فيها الأمين، وينطق فيها الرؤيبضة، قيل: وما الرؤيبضة؟ قال: السفية يتكلم في أمر العامة".

- وأخرج الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن أمام الدجال سنين خداعة، يُكذَّب فيها الصادق، ويُصدَّق فيها الكاذب، ويُخون فيها الأمين، ويُؤتمن فيها الخائن، ويتكلم فيها الرؤيبضة، قيل: وما الرؤيبضة؟ قال الفويسق يتكلم في أمر العامة".

- وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخون فيها الأمين، وينطق فيها الرؤيبضة، قيل: وما الرؤيبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة"

(صحيح الجامع:3650)، (السلسلة الصحيحة:1888)

وهذا ما رأيناه في هذه الأيام، حيث ذهب الفاسقون من الممثلين والممثلات يتكلمون باسم الدين، ويذهبون هنا وهناك للكلام في قضايا الناس، ومن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب.

(1) والرؤيبضة فسره النبي ﷺ كما في الحديث التالي: بأنه الرجل التافه يتكلم في أمر العامة، والتافه: الخسيس الحقير، والرؤيبضة تصغير "الربضة": وهو العاجز الذي يرض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة. (النهاية:2/185).

16- ارتفاع الأراذل والسفهاء

أخرج الإمام أحمد والترمذي عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(صحيح الجامع: 7431)

"لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكع بن لُكع"

وفي "لسان العرب": أن اللُكع: هو "العبد أو اللئيم"، وقيل: الوسخ، وقيل: الأحمق الجاهل، وقيل: هو ضيق الصدر، قليل الغناء، الذي يؤخره الرجال عن أمورهم، فلا يكون له موقع، ويقال للرجل: "لُكع"، وللمرأة: "لُكاع"

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا تذهب الدنيا حتى تكون للُكع بن لُكع".

وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من أشراط الساعة أن يغلب على الدنيا لُكع بن لُكع، فخير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين"

ورواه الطحاوي في "مشكل الآثار" بلفظ:

"يوشك أن يغلب على الدنيا لُكع بن لُكع، وأفضل الناس مؤمن بين كريمين" (الصحيحة: 1505)

وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"لا تذهب الأيام والليالي حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكع بن لُكع".

17- هلاك الوعول وظهور التحوت

وقد ظهرت هذه العلامة ولا تزال تتتابع، حيث يموت العلماء والعقلاء والحكماء، ولم يبقَ إلا حثالة من الناس يُرْفَعُونَ على الأعناق، ويشار لهم بالبنان، وتتسلط عليهم الأضواء، ويتكلمون في أمور العامة، وهذا من علامات الساعة.

فقد أخرج الحاكم في "المستدرک" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى... وذكر منها: "ويهلك الوعول، ويظهر التحوت، فقالوا: يا رسول الله، وما الوعول وما التحوت؟ قال: الوعول وجوه الناس وأشرفهم، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم".

18- الخضاب بالسواد (تشبب الشيخ)

وهذه علامة بين النبي ﷺ أنها ستقع في آخر الزمان، وقد كان ما أخبر به النبي ﷺ ووقع على الوجه الذي أخبر به ﷺ.

فقد أخرج أبو داود والنسائي عن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

"يكون قوم يخضبون⁽¹⁾ في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام⁽²⁾ لا يريحون رائحة الجنة"

(صحيح الجامع: 8153)

وينطبق هذا الحديث على الذي يخلق عوارضه، ويدع ما على ذقنه من الشعر، ثم يصبغه بالسواد؛ فيغدوا كحواصل الحمام.

قال الإمام النووي ؒ كما في "شرح مسلم" (80/14):

"يحرم خضابه بالسواد على الأصح، وقيل: يكره كراهية تنزيهه، والمختار التحريم؛ لقوله ﷺ:

"واجتنبوا السواد"

قال ابن الجوزي ؒ كما في "كتابه الموضوعات" (55/3):

"يحتمل أن يكون المعنى لا يريحون رائحة الجنة لفضلهم، أو اعتقاد لا لعللة الخضاب.

تنبيه:

مسألة الخضاب بالسواد من المسائل الخلافية بين أهل العلم، فمنهم من قال بتحريم الخضاب بالسواد، ومنهم من يقول بالكراهية فقط، ومنهم من يقول بالجواز بلا كراهية، ولكل قول من هذه الأقوال قوته وأدلته، ومن أراد الاطلاع على أدلة كل فريق والراجح منها؛ فليراجع كتاب "مفاتيح الفقه" للشيخ مصطفى العدوي - حفظه الله -.

(1) يخضبون: أي يُغَيَّرُون الشعر الأبيض من الشيب الواقع في الرأس واللحية بـ(السواد)، أي: باللون الأسود.

(2) كحواصل الحمام: قال الطيبي ؒ: "معناه: كحواصل الحمام في الغالب؛ لأن حواصل بعض الحمامات ليست بسوداً."

19- كثرة النساء وقلة الرجال

ومن علامات الساعة كثرة النساء آخر الزمان وقلة الرجال

أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

"لأحدثكم حديثاً لا يحدثكم أحدٌ بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول " من أشرط الساعة: أن يقلَّ العلمُ، ويظهر الجهلُ، ويظهر الزنا، وتكثر النساءُ، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأةٍ القيمِّ الواحد (1)"

وفي رواية أخرى: "لا تقوم الساعة- أو قال: إن من أشرط الساعة: أن يُرفَعَ العلمُ، ويظهر الجهلُ، ويُشرب الخمرُ، ويفشو الزنا، ويذهب الرجال، ويبقى النساءُ، حتى يكون لخمسين امرأةٍ قيمِّ (2) واحد". - وفي رواية: "يظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء"

أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"ليأتينَّ على الناس زمانٌ يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه، ويُرَى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأةً يُلذَّن به من قلة الرجال وكثرة النساء".

وقال أهل العلم: "إن سبب زيادة النساء على الرجال قد ترجع إلى أمور منها:-

1- أن يكون ذلك بسبب كثرة الفتن والحروب، فيقتل الرجال، ويكثر عدد النساء.

وقيل: إنه يكون لكثرة الفتوح فتكثر السبايا.

وقيل: إن الله يُقدِّر في آخر الزمان أن يقل عدد المواليد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث،

والمتمائل في نسب الولادة بين الذكور والإناث يعلم صدق رسول الله ﷺ

وهذا الأخير هو الذي رجَّحه الحافظ ابن حجر، فقد قال كما في "فتح الباري" (133/1):

"والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يُقدِّر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث. هذا والله أعلى وأعلم.

(1) القيم: يعني من يقوم بأمر هؤلاء النسوة، وما يحتجن إليه من النفقة وغيرها.

وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (179/1): "يحتمل أن يُراد بهذا العدد حقيقته، ويحتمل أن يُراد المجاز على الكثرة.

(2) قال القرطبي رحمته الله في "التنكرة": "يحتمل أن يُراد بالقيم: من يقوم عليهن سواء كن موطوات أم لا، ويحتمل أن يكون ذلك يقع في الزمان الذي لا

يبقى فيه من يقول: "الله الله"، فيتزوج الواحد بغير عدد جهلاً بالحكم الشرعي.

20- كثرة الروم وقلة العرب

الروم هم مَنْ يُطَلَّق عليهم اليوم الأوروبيون والأمريكان، وسمو بالروم نسبة إلى الأصفر بن الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، ولهذا يطلق عليهم بنو الأصفر. (التذكرة للقرطبي: 689/2).

وقد بيّن النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يكثر الروم في آخر الزمان ويقل العرب.

فقد أخرج الإمام مسلم عن المستورد بن شداد أنه قال لعمر بن العاص:

"تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو بن العاص: أبصر ما تقول؟ قال: أقول لك ما سمعت من رسول الله ﷺ، فقال عمرو بن العاص: إن تكن قلت ذاك إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأسرع الناس كزّة بعد فرّة⁽¹⁾، وإنهم لخير الناس لمسكين وفقير وضعيف، وإنهم لأحلم الناس بعد فتنة، والرابعة حسنة جميلة، وأنهم لأمنع الناس من ظلم الملوك".

وفي رواية أخرى عند مسلم: "أن المستورد بن شداد قال لعمر بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك: إن فيهم لخصالاً أربعاً، إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقةً بعد مصيبة، وأوشكهم كزّة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك".

• والعرب في هذه الأوقات قلة

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أم شريك رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: "ليفرن الناس من الدجّال في الجبال، قالت أم شريك: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل"

وقد يقال: "إن معنى: "الروم أكثر الناس" إشارة إلى انتشار اللسان الأوروبي، وبداية هجر العربية،

قال بعض أهل العلم: "العربي من تكلم العربية، والأعرابي من سكن البادية وإن كان أعجمياً.

(1) الأصل في الكزّة: الإقبال في القتال، والفرّة هي: الفرار، والمعنى هنا: أنهم إذا هزموا أو أصابتهم كارثة سارعوا إلى تحسين أوضاعهم ثم يعاودون الكرة.

21- كثرة القراءة وقلة الفقهاء والعلماء

فقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يكثر القراء ويقل العلماء.

فقد أخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"سيأتي على الناس زمانٌ تكثر فيه القراء، ويقل فيه الفقهاء، ويُقبض العلم، ويكثر الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل بينكم، ثم يأتي بعد ذلك زمانٌ يقرأ القرآن رجالٌ لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي بعد ذلك زمانٌ يجادل المنافق الكافر المشرك بالله المؤمن بمثل ما يقول".

وقد جعل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كثرة القراءة وقلة الفقهاء علامة على قلب الموازين واختلال الأمور.

فقد أخرج الدارمي والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

"كيف أنتم إذا لبستكم فتنة: يهرم فيها الكبير، ويربوا فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غيرت قالوا: غيرت السنة، قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة.

- وفي رواية: "قالوا: ومتى ذلك؟ قال: إذا ذهب علماءكم، وكثرت جهلاؤكم، وكثرت قراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين".

تنبيه:

ومعنى قبض العلم: هو قبض من يحملون هذا العلم، وهم الفقهاء والعلماء

كما جاء تفسير ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"إن الله ﷻ لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، لكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رعوساً جهلاً فاستلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".

22- أخذ الأجرة على قراءة القرآن

قراءة القرآن عبادة وقربة، والأصل أن العبادات لا تصرف لطلب الدنيا، وإنما تبذل للآخرة وابتغاء وجه الله.

ومن علامات الساعة أنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن ويحسنون أصواتهم في مجالس العزاء والمناسبات؛ ليأخذوا على ذلك أموالاً

أخرج الإمام أحمد عن عمران بن حصين رضي الله عنه:

"أنه مر برجل وهو يقرأ على قوم، فلما فرغ سألهم مالاً! فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مَنْ قرأ القرآن فليسأل الله تبارك وتعالى به، فإنه سيجيء قوم يقرءون القرآن يسألون الناس به".

(حسنه الأرنؤوط في تعليقه على المسند).

وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

"خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والعجمي، فقال: اقرءوا، فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدر⁽¹⁾، يتعجلونه ولا يتأجلونه⁽²⁾"

- وكان هناك ضرير يجالس سفيان الثوري، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد، فيُصَلِّي بالناس فيُكسى ويُعطى، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة أئيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا: (وأشار على الرجل الضرير) قد تعجَّلت ثوابك في الدنيا، فقال: يا أبا عبد الله، تقول لي هذا وأنا جليسك؟ قال: أخاف أن يقال لي يوم القيامة: كان هذا جليسك أفلا نصحتة؟.

- وقال ميمون بن مهران: يا أصحاب القرآن! لا تتخذوا القرآن بضاعة تلتمسون به الربح في الدنيا، اطلبوا الدنيا بالدنيا، والآخرة بالآخرة.

(1) يقيمونه كما يقام القدر: والمعنى: يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والشهرة، كأن أحدهم يَصِفُ أقداحاً وهي الصحون.

(2) يتعجلونه ولا يتأجلونه: والمعنى: يتعجلون ثوابه من الناس مالاً وثناءً، ولا يؤجلون نيل الثواب في الآخرة أجراً ورضواناً.

تنبيه:

وتعلّم القرآن وتعليمه من أجل عرضٍ من أعراض الدنيا أمر مذموم نهى الشرع عنه، **وبيّن النبي ﷺ: "أن أول من ستسعر به النار: رجل قرأ القرآن لا من أجل الله، ولكن من أجل السمعة وطلب الثناء عليه".**

وهناك من يطلب القرآن للآخرة، لكن يأخذ أجره، وهذا الذي اختلف أهل العلم فيه: فمنهم من منع؛ وهو قول الحنفية، وأحد الوجوه عند الإمام أحمد، ونقله البعض عن الزهري، وإسحاق، وأما جمهور أهل العلم: فعلى الجواز، وممن قال بهذا الشافعيين ومالك، والإمام أحمد في إحدى الروايات، وهو قول المتأخرين من الحنفية، وقول عطاء، وأبي قلابة، وأبي ثور، وابن المنذر، والحسن بن صالح، وإسحاق، وابن حزم، والبعثي، والمناوي، والقرطبي، والنووي، وابن حجر، والصنعاني، والمباركفوري، وهو قول العلامة ابن باز رحمته الله، وهذا هو الأرجح.

يقول ابن حزم رحمته الله كما في "المحلى" (193/9):

"الإجارة جائزة على تعليم القرآن، وعلى تعليم العلم مشاهرةً وجملته، وكل ذلك جائز، وعلى الرقي، وعلى نسخ المصاحف، ونسخ كتب العلم؛ لأنه لم يأت في النهي عن ذلك نص، بل قد جاءت الإباحة كما روينا عن ابن عباس... ثم ذكر حديث اللديغ وفيه: **فقال رسول الله ﷺ: "إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله..."** الحديث، **والخبر المشهور: "أن رسول الله ﷺ زوج امرأة من رجلٍ بما معه من القرآن" أي: ليعلمها إياه. اهـ**

فجعل النبي صداق هذه المرأة القرآن، وخروجاً من هذا الخلاف: حبذا لو جعلنا أخذ الأجرة على حبس الوقت لا على تعليم القرآن؛ فإنه أفضل، وخروجاً من الخلاف، والله أعلم.

23- اتباع سنن الكافرين

وهذه علامة أخبر عنها النبي ﷺ، وقد وقع ما أخبر عنه النبي ﷺ وتحقق، فراح المسلمون يقلدون ويتشبهون بمن لا خلاق لهم من اليهود والنصارى.

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها ⁽¹⁾ شبرا بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا أولئك".

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ؛ فراح شبابنا يقلدون شبابهم، ونساؤنا يقلدن نساءهم، فرأينا ما رأينا من العجب العجائب، من تبرُّج وسفور واختلاط وريا وزنا وخنا وفجور وسماع الأغاني وشرب المخدرات والخمر، بل راح شبابنا ونساؤنا يقلدوهم حتى في ترجيل الشعر، ونمص الوجه.

وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال كما عند البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

"لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دخلوا في جحر ضب لتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ ⁽²⁾"

وعند الحاكم في "المستدرک" عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"لتركبن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلموه"

(1) أخذ فلان بأخذ فلان: أي سار بسيرته.

(2) نقل الحافظ ابن حجر رضي الله عنه في "فتح الباري" (387/20) عن القاضي عياض رضي الله عنه أنه قال: "الشبر والذراع ودخول الجحر تمثيل للاقتداء والتقليد لهم" قال النووي رضي الله عنه في "شرح مسلم" (525/5): السنن.. بفتح السين والنون: وهو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب، التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد: الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر. وخصَّ النبي جحر الضب لشدة ضيقه، وإمعاناً في وصف من يدخل مكاناً لا يتسع له، فالتشبيه أنهم لو دخلوا في مثل ذلك المكان الضيق لوجد في أمة رسول الله ﷺ من يفعل ذلك لشدة التقليد.

أخرج الترمذي والإمام أحمد عن أبي واقد الليثي:

"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجْرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: " يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف:138]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ" (أخرجه الترمذي (2271) وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ)

تنبية:

لا بأس من تقليد أهل الكفر فيما ينفع المسلمين، كالاستفادة من مخترعاتهم وتجاريهم العلمية الحديثة، والاستفادة من خبراتهم الإدارية في المصالح والمؤسسات الحكومية مما لا يخالف ديننا.

24- أن يأكل القوي الضعيف

وهذه علامة من علامات الساعة نراها رأي العين على مستوى الدول والأفراد.

أخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:

"يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكَ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لِحَاقًا⁽¹⁾، قَالَتْ: فَلَمَّا جَلَسَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، لَقَدْ دَخَلْتَ عَلَيَّ وَأَنْتَ تَقُولُ كَلَامًا دَعَرَنِي، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَتْ: تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمِي أَسْرَعُ أُمَّتِكَ بِكَ لِحَاقًا، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: وَمِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: تَسْتَحْلِيهِمُ الْمَنَائِيَا⁽²⁾ وَتَنْفَسُ عَلَيْهِمْ أُمَّتُهُمْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَكَيْفَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ - أَوْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ - قَالَ: دَبِي⁽³⁾ يَأْكُلُ شِدَادَهُ ضِعَافَهُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ"

(السلسلة الصحيحة:1953)

(1) وقول النبي: "يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكَ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لِحَاقًا" دليل على أن أسرع قبائل العرب فناءً هي قريش، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام

أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أسرع قبائل العرب فناءً قريش، ويوشك أن تمر المرأة بالنعل، فتقول: إن هذا نعل قرشي"

(2) المنايا: جمع منية، وهو الموت، وتستحليهم المنايا: يعني أن الموت يراهم صيداً حلواً، فيهمج عليهم.

(3) الدبي: هو الجراد قبل أن يطير، وقال أبو عبد الرحمن: فسره رجلٌ: هو الجنادب التي لم تنبت أجنحتها، والجنادب: جمع جندب، وهو الجراد.

25- تداعي الأمم على الأمة الإسلامية

وهذه علامة ظهرت ولا تزال تتكرر على مر العصور

فقد أخرج أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا⁽¹⁾، فَقَالَ قَائِلٌ: مِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غَنَاءٌ⁽²⁾ كَغَنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِهِمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ⁽³⁾، قِيلَ: وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ".

(السلسلة الصحيحة: 958)

ورواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان:

"كيف بك يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كما تداعي الأكلة على قصعتها؟ فقال ثوبان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أمن قلة بنا؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكن يلقي في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: "حبكم الدنيا وكرهيتكم القتال"

وأخرجه كذلك الإمام أحمد بلفظ آخر عن ثوبان مولى النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قِصْعَتِهَا، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غَنَاءً كَغَنَاءِ السَّيْلِ، يُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"

(1) القصة: وعاء يُؤكل فيه، وكان يُتخذ من الخشب غالباً.

(2) الغناء: ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزيد والوسخ وغيره.

(3) الوهن: فسره النبي ﷺ بحب الدنيا وكرهية الموت.

وهذا الحديث من دلائل النبوة وعلامة من علامات الساعة، وفيه التصريح بما سيكون من تجمع الأمم ضد المسلمين، استضعافاً لهم وطمعاً فيهم، مع كثرة عدد المسلمين. وقد تداعت أمم الكفر على المسلمين كما تداعي الأكلة على قصعة الطعام، والتداعي: التتابع، أي يدعو بعضهم بعضاً، فيجيب المدعو كما في دعوة اللواتم. وسبب هذا الهوان ليست القلة في عدد المسلمين، بل هم كثرة، فقد تجاوز عددهم الألف مليون، ولكنهم غناء وزيد كالذي يحمله السيل، وهذا حال الأمة اليوم.

فلا نجاة إلا بالرجوع إلى دين ربنا، ونزع الدنيا من القلوب، كما كان حال الرعيل الأول لتعود لنا السيادة والقيادة.

إن اعتصام هذه الأمة بدينها ووحدتها حاجز يقف دون مطامع أعدائها، فمهما كان مكر الأعداء وقوتهم فإنهم لن ينالوا من هذه الأمة نيلاً إذا كانت متحدة، وفي الحديث الذي يرويه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: "وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلب عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم⁽¹⁾، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة⁽²⁾، وأن لا أسلب عليهم عدواً من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً"

وواضح من الحديث أن وحدة الأمة عصمة لها من اعدائها فإذا أصبح بأسها بينها، ووقعت الفرقة والاختصاص فيما بينها؛ سلط الله عليها أعداءها، وتلك نتيجة حتمية لأن قوتها في هذه الحال لا تتجه إلى الأعداء بل إلى نفسها؛ فتدمر نفسها بنفسها؛ مما يطمع أعداءها فيها.

26- الرؤيا الصادقة للمؤمن

الرؤى والأحلام في المنام لها معانٍ وأحكام، منها ما هو كاذب، وهذا من الشيطان، ومنها ما يكون أضغاث أحلام وأحاديث نفسٍ، ومنها ما هو صادق كفلق الصبح، وهي من المبشرات، كما أخبر بذلك الحبيب النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

"لا يبقى بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات، قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرَى له".

وصدق الرؤيا وكونها بشارة للمؤمن هي علامة على قرب الساعة ونهاية العالم،

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة، [والرؤيا ثلاث: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدهم ما يكره فليقم وليتفل، ولا يحدث بها الناس]"

(1) والمراد بالبيضة: أي جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضاً: العز والملك .

(2) والمراد بقوله: "أن لا أهلكهم بسنة عامة" أي: لا أهلكهم بقسط يعمهم، بل إن وقع قسط يكون في ناحية سيرة، بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري" (451/19):

"معنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب، أنها تقع غالباً على صفة واضحة المعنى لا يحتاج معها إلى تعبير فلا يدخلها الكذب، بل تكون صادقة غير كاذبة؛ لأنها طابقت الواقع بخلاف الرؤى الأخرى، فإنها قد يخفى تأويلها فيعبرها العابر فلا تقع في الواقع كما عبر، فتكون كاذبة غير صادقة، والحكمة في اختصاص ذلك بآخر الزمان، أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريباً كما في الحديث: **"بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً"** فيقل أنيس المؤمن ومعينه، فيكرم الله المؤمن بالرؤيا الصالحة التي تثبته على الحق وتبشر به. اهـ

وهناك احتمالات لتحديد الزمن الذي يقع فيه صدق رؤيا المؤمن:

- 1 - أن ذلك يقع إذا فُيَضَ العلم، وغابت معالم الشريعة بسبب الفتن والقتال، فيصبح المؤمن غريباً، فيعوّض بالمرائي الصالحة.
- 2 - أن ذلك يقع في زمان نبي الله عيسى عليه السلام؛ لأن أهل زمانه أصلح زمان في هذه الأمة بعد الصحابة الكرام وأصدقهم أقوالاً وأحوالاً، ورؤاهم لا تكاد تكذب. (انظر فتح الباري: 451/19)

27- زخرفة البيوت وتزيينها

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن تزيين البيوت وزخرفتها علامة من علامات الساعة،

فقد أخرج البخاري في "الأدب المفرد" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتاً يوشونها وشي المراحيل" (السلسلة الصحيحة: 279)

ومعنى المراحيل كما جاء في "لسان العرب" (11/256): هو الثوب المزين المخطط، ومفردتها: "مرحل" ومعنى الحديث: أي أن الناس يُخطّطون البيوت ويزخرفونها كما تُخطّط الثياب وتُزخرف.

وقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعني هذا حرمة تزيين البيوت أو ستر منافذها بالستائر، ولكن المحرم

هو الإسراف في هذا، كما قال تعالى: **{وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}** [الأنعام: 141]

28- ارتفاع مباني مكة

أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة ارتفاع المباني فوق جبال مكة وصدق الحبيب النبي ﷺ فقد وقع كما أخبر.

فقد أخرج ابن أبي شيبة بسنده إلى يعلى بن عطاء عن أبيه قال:

"كنت آخذاً بلجام دابة عبد الله بن عمرو، فقال: كيف أنتم إذا هدمتم البيت فلم تدعو حجراً على حجر؟! قالوا: ونحن على الإسلام؟! قال: وأنتم على الإسلام، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم يُبنى أحسن ما كان، فإذا رأيت مكة قد بعجت كظائم⁽¹⁾، ورأيت البناء يعلو رعوس الجبال، فاعلم أن الأمر قد أظلك".

29- زخرفة المساجد والتباهي بها

الأصل أن المساجد دور لعبادة الله ﷻ؛ بينها العبد احتساباً للأجر والثواب، لكن في آخر الزمان سيبنى الناس المساجد ويزخرفونها، ويتباهى كل شخص بجمال وزخارف المسجد الذي بناه، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ وعدّه من أشراط وعلامات الساعة.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي عن أنس ﷺ أن رسول الله

ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد" (صحيح الجامع: 7421)

قال البخاري: قال أنس ﷺ: "يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً"

والمقصود بالتباهي بها هو العناية بزخرفتها.

قال أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي في "عون المعبود" (118/2):

"حتى يتباهى الناس في المساجد" أي يتفاخر في شأنها أو بنائها، يعني يتفاخر كل أحد بمسجده، ويقول: مسجدي أرفع أو أزين أو أوسع أو أحسن؛ رياء وسمعة واجتلاباً للمدحة.

قال ابن رسلان: "هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة لإخباره ﷺ عما سيقع بعده، فإن تزويق المساجد والمباهاة بزخرفتها كثر من الملوك والأمراء في هذا الزمان بالقاهرة والشام وبيت المقدس، بأخذهم أموال الناس ظلماً وعمارتهم بها المدارس على شكل بديع، نسأل الله السلامة والعافية. اهـ

(1) وقوله ﷺ: "بعجت كظائم" أي: حُفرت قنوت، وهي الأنفاق الأرضية تحت جبال مكة وتحت أرضها".

وأخرج أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
"مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ".

قال الإمام الخطابي رحمه الله كما في "معالم السنن" (121/1): التشييد: رفع البناء وتطويله.

وقال خير الدين وانلي - حفظه الله - في كتابه "المسجد في الإسلام" (25):

"ومما ابتلي به المسلمون في بناء المساجد رفع السقوف الأمتار العديدة أكثر من المطلوب للتهوية، مما يحول دون تنظيفها، كما يحول دون دفئها في الشتاء، هذا إلى ما في رفع السقوف من نفقات لا طائل تحتها، كان بالإمكان بناء مسجد آخر بها".

• وقد فهم الصحابة مقصود الشرع وحذروا من زخرفة المساجد

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: "إذا زخرفت مساجدكم، وحليتكم مصاحفكم فالدمار عليكم"

(أخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع: 585)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

"لتزخرفنها (1) كما زخرفت اليهود والنصارى (2)"

ولعل النهي عن زخرفة المساجد يرجع لأمر منها:-

- 1 - أن الزخرفة سبب للمباهاة والمفاخرة وطلب السمعة والرياء، كما في حديث الباب.
- 2 - أن هذا من الإسراف المنهي عنه، والأموال التي جُمعت لبناء المسجد ما ينبغي أن تُصرف في الزخرفة، فهذا تضييع للأمانة؛ لأنه ليس في الزخرفة مصلحة شرعية، بل جاء النهي عنها.
- 3 - أن الزخرفة والنقوش فتنة للناس ومشغلة لهم في صلاتهم.

(1) في "النهاية": الزخرف: النقوش والتصاوير بالذهب. قال الخطابي: معنى قوله: "لتزخرفنها": "لتزيننها"، وأصل الزخرف: الذهب يريد تمويه المساجد بالذهب ونحوه، ومنه قولهم: "زخرف الرجل كلامه" إذا موهه وزينه بالباطل. والمعنى: أن اليهود والنصارى إنما زخرفوا المساجد عندما حرّفوا وبدّلوا وتركوا العمل بما في كتبهم، يقول: "فأنتم تصيرون إلى مثل حالها إذا طلبتم الدنيا بالدين، وتركتم الإخلاص في العمل، وصار أمركم إلى المراءات بالمساجد والمباهاة في تشييدها وتزيينها"

(2) وقوله: "كما زخرفت اليهود والنصارى" (قال علي القاري: وهذا بدعة؛ لأنه لم يفعله ﷺ، وفيه موافقة أهل الكتاب).

ويشهد لهذا قول عمر رضي الله عنه عندما أمر ببناء المسجد:

"أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمَّرَ أَوْ تُصَفَّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ" (أخرجه البخاري).

وأيضاً ثبت في "الصحيحين" من حديث عائشة رضي الله عنها: "أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في خميصة لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة. فلما انصرف قال: اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم، وأتوني بأنبجانية أبي جهم، فإنها ألهمتني آنفاً عن صلاتي"
قال الحافظ ابن حجر رحمته الله:

"ويستتبط من هذا الحديث كراهية كل ما يشغل عن الصلاة من الأصباغ والنقوش ونحوها... اهـ
وقال النووي رحمته الله: "وفي هذا الحديث كراهية تدويق محراب المسجد وحائطه ونقشه وغير ذلك من الشاغلات، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل العلة في إزالة الخميصة هذا المعنى... اهـ
فعمارة المساجد الحقيقية لا تكون إلا بالطاعة والصلاة والقرآن وحلِّق العلم... وغير ذلك من ألوان الطاعة، ولا يفهم من ذلك عدم الاهتمام ببناء المساجد، أو بنائها على أشكال مُزرية... لا... إنما النهي عن الزخرفة والإسراف.

30- اتخاذ المساجد طُرُقاً

وهذا من علامات الساعة

فقد أخرج ابن خزيمة والبغوي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
"إن من أشراط الساعة أن يمرَّ الرجل بالمسجد لا يُصَلِّي فيه ركعتين".
- وفي رواية: "أن يجتاز الرجل بالمسجد فلا يُصَلِّي فيه".

وعند الطبراني: "وحتى تتخذ المساجد طُرُقاً، فلا يُسجد لله فيها"

وأخرجه الطيالسي بلفظ: "إن من أشراط الساعة أن تُتَّخَذَ المساجد طُرُقاً"

وهذا ليس فيه تعظيم لشعائر الله، فالمساجد ما جُعِلت لمرور الناس من خلالها، وإنما جُعِلت للعبادة. ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل وصل الأمر في كثير من بلاد المسلمين أن أصبحت المساجد آثاراً سياحية، يدخلها الكُفَّار ونساؤهم كاسيات عاريات، بل وربما تتعطل الصلاة حتى تنتهي تلك الزيارة... فإننا لله وإنا إليه راجعون.

31- كثرة الزلازل

وهذه علامة من علامات الساعة والتي تدل على اقترابها
فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل"

والمقصود بكثرة الزلازل قبل قيام الساعة شمولها ودوامها، وهذا ما نراه رأي العين، ونسمع به في كثير من بلدان العالم.

فقد أخرج الإمام أحمد والدارمي عن سلمة بن نفيل السكوني قال:

"كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ قال له قائل: يا رسول الله، هل أتيت بطعامٍ من السماء، قال: نعم، قال: وبماذا، قال: بسخنة، قالوا: فهل كان فيها فضل عنك؟ قال: نعم، قال: فما فعل به؟ قال: رفع، وهو يوحى إليّ أني مكفوت غير لابت فيكم، ولستم لابتين بعدي إلا قليلاً، بل تلبثون حتى تقولوا: متى؟ وستأتون أفئداً يُفني بعضكم بعضاً، وبين يدي الساعة موتان شديد، وبعده سنوات الزلازل"

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"يا ابن حوالة إذا رأيت الخِلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأُمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك "

تنبيه:

قد تكون هذه الزلازل عقوبة للكفار أو الفجار وعذاباً لهم، وهي للأتقياء الأنقياء رحمة وتكفيراً للسيئات.

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"أمتي أمةٌ مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة، جعل الله عذابها في الدنيا: القتل والزلازل والفتن".

وحديثنا عن الزلازل ليس لكونها رحمة أو نقمة، إنما كلامنا على أن كثرتها علامة من علامات الساعة.

32- كثرة موت الفجأة

وهي من العلامات التي ظهرت بكثرة في عصرنا، وكان قديماً لا تجد مثل هذا، فيمرض المريض ويشعر بقرب الأجل، فيكتب وصيته، ويودع أهله، ويوصي أولاده، ويقبل على ربه، ويتوب مما سلف. وعند نزول الموت يردد الشهادة ليُختمَ له بها - وهذا في غالب الأحوال - .
أما في هذا الزمان، فيخرج الإنسان من بيته ويخاف هذا المسكين ألا يرجع إليه، لكثرة موت الفجأة، وهذه علامة من علامات الساعة.

فقد أخرج الطبراني في "الصغير والأوسط" والضياء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: **"إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة"** (صححه الألباني في الصحيحة: 2292)

وأخرج الطيالسي بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"إن من أشراف الساعة أن تتخذ المساجد طُرُقاً، وأن يظهر موت الفجأة".

وهذا ما نراه الآن، من كثرة الموت بسبب السكتة القلبية، وكذلك يُفاجئ الموت كثيراً من الناس بلا سبب، ومنهم شباب في ريعان شبابهم، وقد رأينا هذا رأي العين.

وهذا الأمر يجعل الإنسان يحاول دائماً أن يكون على أهبة الاستعداد، فيكون دائماً على طاعة الله عز وجل، بعيداً عن المعصية... فإنه لا يدري متى يأتيه الموت

كما قال بعضهم:

فحسى أن يكون موتك بغتة

اغتم في الفراغ فضل ركوع

ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

كم صحيح رأيت من غير سقم

تنبيه:

وموت الفجأة علامة على غضب الله

فقد أخرج أبو داود والإمام أحمد عن عبيد الله بن خالد السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(صحيح الجامع: 6631)

"موت الفجأة أخذة أسف"

أي: أخذه غضب من الله تعالى؛ وذلك لأن فيه حرمان من الوصية، وترك الاستعداد للميعاد بالتوبة وصالح العمل.

وقد فرّق ابن مسعود رضي الله عنه بين موت المؤمن فجأة وموت غيره فقال:

"موت الفجأة راحة للمؤمن، وأسف علي الفاجر".

فالمؤمن بهذا الموت خرج من سجن الدنيا إلى سعة الآخرة، وارتاح من أعباء وغُصص الحياة، وخرج من دار العاصين إلى جوار رب العالمين.

وهذا ما قصده النبي صلى الله عليه وسلم ففي "صحيح البخاري ومسلم":

"أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فلاناً قد مات، فقال: مستريح أو مُستراح منه، قالوا: يا رسول

الله، ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها

إلى رحمة الله صلى الله عليه وسلم، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب"

33- كثرة الشرك وانتشاره

مما لاشك فيه أن الشرك خطره عظيم، وهو الذنب الذي لا يغفره الله تعالى إذا مات صاحبه عليه،

كما قال رب العالمين في كتابه الكريم:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: 48]

وبين رب العالمين أن الشرك محبط للأعمال، فقال تعالى:

{ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الزمر: 65]

والأدلة في القرآن على الترهيب من الشرك كثيرة، ولو لم يكن منها إلا قوله تعالى:

{ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } [المائدة: 72] لكفى.

وجاءت آيات أخرى تأمر بعبادة الله وحده وعدم الشرك به، ومنها: -

قوله تعالى: **{ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا }** [النساء: 36]

وقوله تعالى: **{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرُكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا }** [الأنعام: 151]

وقوله تعالى: **{ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }** [الكهف: 110]

ولا نكاد نتلوا سورة من القرآن إلا ونجد من الآيات والتي تُرهب من الشرك وتحض على التوحيد.

وكذلك بالنسب للسنة النبوية، فقد حذر خير البرية من الشرك، وجعله من أعظم الذنوب فقد أخرج البخاري ومسلم:

"أن النبي ﷺ سئل: أي الذنب أعظم يا رسول الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك".
وأخرج البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال:

"اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال الشرك بالله، والسحر..."

وذكر الحديث.

ولأهمية الأمر كان النبي ﷺ يأخذ البيعة على أصحابه ألا يشركوا بالله،

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً..." فذكر الحديث.

ومع هذا الترهيب من خطر الشرك، إلا أن كثيراً من الناس وقعوا فيه، ولنذكر على ذلك أمثلة من ألوان الشرك، والتي وقعت فيها الأمة المحمدية، ومنها: -

- متابعة أشخاص يُحلّون ما حرم الله، أو يُحرّمون ما أحل الله.
- دعاء غير الله أو الاستعانة به في أمر لا يقدر عليه إلا الله.
- التقرب لغير الله: من شمس أو قمر أو نجم أو كوكب أو ملك أو شجر أو حجر أو ميت أو غائب، بأي نوع من أنواع القربات، كالسجود أو الذبح، أو الاستعانة لدفع ضرر أو جلب مصلحة... ونحو ذلك ممّا لا يطلب إلا من الله ﷻ، أو الذهاب إلى العرّافين والكهّان والدجّالين، ومَن يخط الرمال، ويضرب الحصى، ويقرأ الفنجان، ويفتح المندل، وغيرهم ممّن يدّعون علم الغيب.
- الحلف بغير الله، والتشائم، والرياء.

- التعلّق بالتمائم، والأحجار، والأشجار، والحظّاة، والخرزة الزرقاء، وقرن الفلفل الأحمر، ورشّ الملح في المناسبات، وتعليق الحذاء في السيارة، وحدوة الحصان، ونجم البحر، وخمسة وخميسة... وغير ذلك من ألوان الشرك الذي عمّ وطمّ وانتشر في الأمة الإسلامية انتشار النار في الهشيم، وهذا الشرك مع مرور الزمان والابتعاد عن زمن النبوة يزداد خطره ويتفاقم أمره شيئاً فشيئاً، حتى يصل لدرجة أن الناس سيعبدون الأوثان مرة أخرى كما كان قبل مجيء الإسلام، وهذا ما أخبر به الحبيب النبي ﷺ

فقد أخرج الترمذي وأبو داود والحاكم عن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّى تُعْبَدَ الْأَوْثَانُ"

(صحيح الجامع: 7418)

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ إِلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلْصَةِ"⁽¹⁾

(1) ذو الخلصة: طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية.

34- ترك الحكم بما أنزل الله

قال تعالى: **{ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ }** [الأعراف:54]، فخرج علينا من يقول: "نعم له الخلق، لكن ليس له الأمر"، فراحوا يحكمون بغير ما أنزل الله، من القوانين الفرنسية والبريطانية، وهي قوانين وضعية من صنع البشر يعترئها النقص، وتركوا حكم الله تعالى، وصدق الله **عَلَيْكَ** حيث قال: **{ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }** [المائدة:50]

والحكم بغير ما أنزل الله علامة من علامات الساعة.

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني عن أمامة الباهلي **رضي الله عنه** أن رسول الله **ﷺ** قال: "لَتَنْقُضَنَّ عَرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةَ عُرْوَةٍ، فَكَلِمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلَهُنَّ نَقْضًا: الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ: الصَّلَاةُ".

ووقع ما أخبر به النبي **ﷺ**، فتجد أن كثيراً من البلدان الإسلامية لا تحكم بشرع رب البرية، إلا في النذر اليسير من قوانين الأحوال الشخصية، من زواج أو طلاق أو ميراث، أما المعاملات التجارية والعقوبات الجنائية والحدود الشرعية فيحكمون بالقوانين الوضعية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

35- كثرة القتل

فمن علامات الساعة التي ذكرها النبي **ﷺ** كثرة القتل

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ"

وأخرج البخاري عن أبي هريرة **رضي الله عنه** عن النبي **ﷺ** قَالَ:

"يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ"

وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود **رضي الله عنه** وأبي موسى الأشعري **رضي الله عنه** قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّاماً يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ، بِلِسَانِ الْحَبْشَةِ"

وعند البخاري: "بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامُ الْهَرْجِ، يَزُولُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيُظْهِرُ فِيهَا الْجَهْلُ".

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح،
ويكثر الهرج، قالوا: يا رسول الله، وما الهرج؟ قال: القتل، القتل". (أخرجه الشيخان وأبو داود)
وعند البخاري وأحمد وابن ماجه أن النبي ﷺ قال:

"لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل".
والعلة في ظهور القتل وكثرة انتشاره، ربما يفسره ما جاء في نفس الحديث، وهو ظهور الفتن وكثرتها،
مع قلة العلم وانتشار الجهل، فزمنٌ هذا حاله مع انتشار الحروب واستخدام الأسلحة المدمرة، لا شك أن
سيكثر القتل، خصوصاً مع وجود رقة في الدين، وخفة في العقول، وكثرة المعاصي.
وهذا مثال بسيط يدل على ما سبق: أنه عندما أُقيمت قنبلة "هيروشيما"، قتلت في التو واللحظة
140.000 شخص، هذا بجانب من مات بعد ذلك، وكذلك الآثار التي خلفتها.

• إحصائية لقتلى بعض الحروب:

فالإحصاءات للقتل خلال المائة سنة الأخيرة منذ 1907 إلى 2007م تقول الآتي:
هناك (250.000.000) ربع بليون إنسان قتلوا خلال المائة سنة الماضية من غير المسلمين بيد غير
مسلمين، وفي نفس المرحلة هناك (1300.000) مليون وثلاثمائة ألف قتيل من المسلمين قتلوا بيد
مسلمين. وهناك (6000.000) ستة ملايين مسلم قتلوا بيد مسلمين وغير مسلمين.
ويمكن تنفيذ هذه الأرقام على النحو الآتي:-

- الحرب العالمية الأولى: مسيحيون ضد مسيحيين قتل فيها (15.000.000) خمسة عشر مليون إنسان قتيل
- الحربة الأهلية الروسية: شيوعيون ويهود ضد مسيحيين (10.000.000) عشرة ملايين إنسان قتيل
- الحرب الأهلية الإسبانية: كاثوليك ضد كاثوليك (1.200.000) مليون ومائتا إنسان قتيل
- الاتحاد السوفيتي إبان الثورة الصناعية: شيوعيون ضد شيوعيين ومسيحيين (20.000.000) عشرون مليون إنسان قتيل
- الحرب الهندية الصينية الأولى: مسيحيون ضد هندوس (1.200.000) مليون ومائتا إنسان قتيل
- الحرب العالمية الثانية: مسيحيون ضد مسيحيين وبوذيين (55.000.000) خمسة وخمسون مليون إنسان قتيل.. ويمكن تقسيمها إلى الآتي: -القصف الأمريكي لألمانيا (600.000) ستمائة ألف إنسان قتيل
- القصف الأمريكي لرومانيا (50.000) خمسون ألف قتيل
- القصف الأمريكي لليابان (1.500.000) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتيل

- هتلر ألمانيا بالحرب العالمية الثانية: مسيحيون ضد يهود (4.000.000) أربعة ملايين إنسان قتل في مخيمات الموت و (1.300.000) مليون وثلاثمائة ألف يهودي قتلوا بالمذابح الجماعية
- يابانيون ضد صينيين (23.000.000) ثلاثة وعشرون مليون إنسان قتل
- يابانيون ضد فيتناميين وفلبينيين وأندونيسيين وبورميين (7.000.000) سبعة ملايين إنسان قتل
- حرب التصفيات داخل الاتحاد السوفيتي: روسي ضد روسي (4.000.000) أربعة ملايين إنسان قتل
- إيطاليون ضد أثيوبيين وليبيين ويونانيين وإيطاليين (1.400.000) مليون وأربعمائة ألف إنسان قتل
- يوغسلافيا (1.000.000) مليون إنسان قتل -تشيكوسلوفاكيا (2.000.000) مليوناً إنسان قتل
- صينيون ضد صينيين (43.000.000) ثلاثة وأربعون مليون إنسان قتل
- الكنغو في أفريقيا: أفريقي ضد أفريقي (1.200.000) مليون ومائتا ألف قتل
- الثورة المكسيكية كاثوليك ضد كاثوليك (1.000.000) مليون إنسان قتل
- آرمن (1.500.000) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتل
- الحرب الكورية (3.000.000) ثلاثة ملايين إنسان قتل
- رواندا.. هوتسو ضد توتسي (1.500.000) مليون ونصف إنسان قتل
- الحرب الفيتنامية (3.000.000) ثلاثة ملايين إنسان قتل
- أثيوبيا (1.500.000) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتل
- نيجيريا (1.000.000) مليون إنسان قتل -موزمبيق (1.000.000) مليون إنسان قتل
- كمبوديا (1.500.000) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتل
- السودان (2.500.000) مليونان وخمسمائة ألف إنسان قتل
- أنقولا: كاثوليك ضد غير الكاثوليك (600.000) ستمائة ألف إنسان قتل
- الصومال (300.000) ثلاثمائة ألف إنسان ماتوا وغالبيتهم من المجاعة
- زائير (200.000) مائتي ألف إنسان قتل بفعل القتل الجماعي لقبيلة الهوتسو
- كولمبيا: كاثوليك ضد الشوعيين (50.000) خمسون ألف إنسان قتل

الذين قتلوا وكان المسلمون طرفاً في القتال:

- إسرائيل عام 1948 يهود ضد مسلمين (3.000) ثلاثة آلاف يهودي قتل مقابل (11.000) أحد عشر ألف مسلم قتل
- حرب السويس يهود ضد مسلمين (180) مائة وثمانون يهودياً قتلوا (4000) أربعة آلاف مسلم قتل
- حرب الايام الستة 1967 يهود ضد مسلمين (750) سبعمائة وخمسون يهودياً قتلوا مقابل (16000) ستة عشر ألف مسلم قتل

- حرب الاستنزاف المصرية: يهود ضد مسلمين (1000) ألف قتيل مقابل (5000) خمسة آلاف مسلم قتيل
- حرب 1973: يهود ضد مسلمين (2500) ألفان وخمسمائة يهودي قتيل مقابل (15000) مسلم قتيل.
- الإسرائيليون ضد الفلسطينيين بعد الانتفاضة الأولى: يهود ضد مسلمين (1000) ألف يهودي قتيل مقابل (5000) خمسة آلاف مسلم قتيل
- الإسرائيليون ضد الفلسطينيين الانتفاضة الثانية: يهود ضد مسلمين (350) ثلاثمائة وخمسون يهودي قتيل مقابل (5500) خمسة آلاف وخمسمائة مسلم قتيل
- الحرب الأهلية اللبنانية (1970-1990) مسيحيون ضد مسلمين (150.000) مائة وخمسون ألف إنسان قتيل
- إسرائيل ضد لبنان 1982 يهود ضد مسلمين (18000) ثمانية عشر ألف إنسان قتيل
- العراق: (نظام صدام حسين) مسلم ضد مسلم (300.000) ثلاثمائة ألف إنسان قتيل
- البوسنة والهرسك غالبية القتلى من المسلمين (175.000) مائة وخمسة وسبعون ألف إنسان قتيل
- الحرب العراقية الإيرانية: مسلم ضد مسلم (1.000.000) مليون إنسان قتيل
- الجزائر: مسيحيون ضد مسلمين (1.000.000) مليون مسلم قتيل
- أفغانستان سوفيت ضد مسلمين (2.000.000) ميلونا مسلم قتيل
- أحداث الحادي عشر من سبتمبر معظم القتلى من المسيحيين (3000) ثلاثة آلاف قتيل
- الحرب الأمريكية على العراق وأفغانستان مسيحيون ضد مسلمين (3300) ثلاثة آلاف وثلاثمائة. أمريكيون 98% مسيحيون مقابل (1.000.000) مليون مسلم قتيل
- أحداث الجزائر مسلم ضد مسلم (60.000) ستون ألف مسلم قتيل

وبالنظر التحليلي لهذه الأرقام يمكن الحصول على صورة عامة مفادها الآتي:-

- أن جميع المسلمين الذين قتلوا على يد مسلمين خلال آخر مائة سنة أي منذ عام 1907 - 2007 م هو (1.400.000) مليون وأربعمائة ألف مسلم
- غير المسلمين الذين قتلوا على يد مسلمين هم (25.500) خمسة وعشرون ألف وخمسمائة إنسان قتيل
- المسلمون الذين قتلوا بيد غير المسلمين (4.500.000) أربعة ملايين وخمسمائة ألف إنسان قتيل
- غير المسلمين الذين قتلوا غير مسلمين خلال المائة سنة الماضية هم (250.000.000) ربع بليون إنسان وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على كثرة القتل وانتشاره، وعلى وقوع هذه العلامة وما زالت تتكرر

وسيكثر القتل بين أبناء المسلمين، كما أخبر بذلك النبي الأمين ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

"حدثنا رسول الله ﷺ إن بين يدي الساعة لهرجاً، قال: قلت: يا رسول الله، ما الهرج؟ قال: القتل، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس بقتل المشركين، ولكن يقتل بعضكم بعضاً، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه، وذا قرابته! فقال بعض القوم: يا رسول الله، ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: لا. تُنزع عقول أكثر ذلك الزمان، ويخلف هباءً من الناس لا عقول لهم، ثم قال أبو موسى الأشعري: وايم الله، إني لأظنها مُدركتي وإياكم، وايم الله، ما لي ولكم منها مخرج، إن أدركتنا فيما عهد إلينا نبينا ﷺ إلا أن نخرج كما دخلنا فيها".

- وفي رواية أخرى عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن بين يدي الساعة الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل، قالوا: أكثر مما نقتل؟ إنما نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفاً، قال: إنه ليس بقتل المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضاً، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذٍ؟ قال: إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويتخلف له هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنه على شيء، وليسوا على شيء".

(أخرجه أحمد وابن ماجه) (السلسلة الصحيحة: 248/4)

وتعظم البلية حين يقتتل المسلمون، ولا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ

• وقد أخبر النبي ﷺ: "أن القاتل والمقتول في النار" هذا إذا كان القتال من أجل الدنيا، وكان كل واحد ينوي قتل أخيه.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَا قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَا قُتِلَ،

(أخرجه مسلم)

فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ"

والهرج: الفتنة والاختلاط، وفسره النبي ﷺ بالقتل.

36- انتشار الزنا وكثرته

إن الزنا من المحرمات الواضحة التي نهى عنه رب العالمين، فقال في كتابه الكريم:

{وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء:32]

ومع هذا تجد أن كثيراً منّا تجرأ على هذه الفاحشة ووقع فيها، وهذه علامة من علامات الساعة،

أخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قَالَ: **لَأُحَدِّثْكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي؟ سَمِعْتُ**

رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **"مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزَّانِيَ،**

وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمُ الْوَاحِدُ".

وهذه الأشياء الموجودة في الحديث، قد يقع بعضها في زمن من الأزمان، أو مكان من الأماكن، ولكن من علامات الساعة اجتماعها واستحكامها.

قال الحافظ ابن حجر رضي الله عنه في "فتح الباري" (1/179):

وكان هذه الأمور الخمسة خُصَّت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح

المعاش والمعاد، وهي الدين؛ لأن رفع العلم يخل به، والعقل؛ لأن شرب الخمر يخل به، والنسب؛ لأن

الزنا يخل به، والنفس والمال؛ لأن كثرة الفتن تخل بهما.

قال الكرمانى: وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذناً بخراب العالم؛ لأن الخلق لا يتركون هملاً، ولا نبي

بعد نبينا - صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين -، فيتعين ذلك.

وقال القرطبي رضي الله عنه في "المفهم":

"في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت، خصوصاً في هذه الأزمان".

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"سيأتي على الناس سنوات خدعات... فذكر الحديث وفيه: "أنه قال: وتشيع فيها الفاحشة"

(صححه الألباني)

والأمر لم يقتصر على انتشار الزنا فحسب، بل لقد وصل الأمر إلى استحلال الزنا، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج البخاري تعليقاً، وأبو داود والطبراني والبيهقي عن عبد الرحمن بن عُمَرَ الأشعري قال: حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ - أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه - وَاللَّهِ مَا كَذَّبَنِي ، سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:

"لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَّ⁽¹⁾ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ، وَلَيُنزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ⁽²⁾ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ⁽³⁾ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ⁽⁴⁾، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا عَدَا، فَيَبِيئُهُمْ⁽⁵⁾ اللَّهُ، وَيَضَعُ الْعِلْمَ⁽⁶⁾، وَيَمْسَحُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"⁽⁷⁾

(1) فالحرّ: الفروج، وهي جمع، مفردا جر - بكسر الحاء - والمراد من الحديث: انتشار الزنا ودواعيه، من شرب خمر وآلات عزف... ونحو ذلك، ولكثرتها وانتشارها حتى يألفها الناس، فتصبح كأنها مباحة.

(2) علم: هو الجبل، وقيده بعضهم: بالجبل العالي، ومنه قوله تعالى: {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} [الرحمن:24]

(3) يروح عليهم: أي يروح عليهم الراعي.

(4) بسارحة لهم: هي الغنم التي تسرح في النهار في مراعيها، وتعود ليلاً لمكانها.

(5) فَيَبِيئُهُمُ اللَّهُ: يهلكهم الله ليلاً.

(6) وَيَضَعُ الْعِلْمَ: أي يوقع الجبل العالي على رؤوسهم.

(7) ضعف ابن حزم في "المحلى" وغيره هذا الحديث بالانقطاع؛ لأن البخاري لم يذكر من حديثه به، وإنما قال: "وقال هشام بن عمار: ورد عليه العلماء من وجوه: أهدها: أن البخاري لقي هشاماً وسمع منه، فإذا روي عنه معنعناً حُمِلَ على الاتصال.

الثاني: أن الثقات رووه عنه موصولاً، فقد وصله أبو داود دون قوله: "والمعارف" ووصله الطبراني والبيهقي بمثل لفظ البخاري.

الثالث: قد صح الحديث من غير طريق هشام أيضاً كما نبه الإسماعيلي. (انظر تهذيب السنن: 270/5 - 272)، (إغاثة اللهفان: 258/1-260)

(فتح الباري: 52/10 - 57)، (جامع الأصول مع التعليق: 42/10 - 43 و 417)، (انظر السلسلة الصحيحة حديث رقم: 91)

ولم يقتصر الأمر عند انتشار الزنا واستحلاله فحسب، بل تعدى إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث يفترش الرجل المرأة في الطريق، ويجاهر بهذه المعصية، وهذا كله من علامات الساعة.

فقد أخرج ابن حبان والبخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا⁽¹⁾ في الطريق تسافد الحمير، قلت: إن ذلك لكائن؟ قال: نعم ليكونن"

وأخرج الإمام مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه في حديثه الطويل عن الدجال ويأجوج ومأجوج وفيه: "ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمير"⁽²⁾، فعليهم تقوم الساعة"

(شرح النووي على مسلم: 70/18)

وأخرج الحاكم أبو يعلى الموصلي بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَفْنَى هَذِهِ الْأُمَّةُ حَتَّى يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ فَيَفْتَرِشُهَا فِي الطَّرِيقِ، فَيَكُونُ خِيَارُهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَقُولُ: لَوْ وَارَيْتَهَا وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ".

(الصحيحة: 245/1)

تنبيه:

هناك حديث ضعيف جداً أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

"لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض أحدٌ لله فيه حاجة، وحتى توجد المرأة نهاراً جهاراً تنكح وسط الطريق، لا ينكر ذلك أحدٌ ولا يغيره، فيكون أمثالهم يومئذ الذي يقول: لو نحيت عنها عن الطريق قليلاً، فذاك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم"

(استنكره الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: ضعيف جداً).

(1) السفاد: هو نزو الذكر على الأنثى، كما جاء في "لسان العرب"، وقد وقع ذلك في بعض دول الكفر، وظهرت بوادره في بلاد الإسلام.

(2) يتهارجون تهارج الحمير: أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس، كما يفعل الحمير، يُقال: "هرج زوجته" أي: جامعها.

37- استحلال الخمر

وقد مر بنا في الحديث السابق: أنه سيكون في آخر الزمان أقوام يستحلون الحر والحريم والخمر والمعازف، يمسخهم الله ﷻ قردهً وخنازير إلى يوم القيامة. فقد أخبر النبي ﷺ أنه سيأتي أناس يستحلون الخمر ويسمونها بغير اسمها، وهذا من علامات الساعة.

- فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ - أَوْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ - : أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَفْشُو الزَّانِي، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ، وَيَبْقَى النِّسَاءُ،، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قِيَمٌ وَاحِدٌ" - وفي رواية: "يظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء".

- وأخرج الترمذي عن عمران بن حصين ﷺ قال: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ (1) وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ" - وعند الإمام أحمد في "مسنده" عن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "ليشربن أناس من أمتي الخمر، يُسمونها بغير اسمها" (صحيح بشواهده). - ورواه ابن ماجه وابن حبان والطبراني والبيهقي عنه بلفظ:

"ليشربن أناس من أمتي الخمر يُسمونها بغير اسمها، ويُضرب على رعوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم قرده وخنازير"

(قال ابن القيم: إسناده صحيح، ورمز السيوطي لصحته)

- وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "لَتَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمٍ يَسْمُونَهَا إِيَّاهُ" (صححه الألباني، وقال ابن حجر: سنده جيد).

واستحلت الخمر لقلّة الإيمان أو لذهابه، لأنه مَنْ مَلَأَ الْإِيمَانَ قَلْبَهُ لَا يُتَّصَرُّ مِنْهُ فَعَلٌ هَذَا. ولذلك جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ"

(1) الْقَيْنَاتُ: جمع قينة، وهي المغنّية.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "إذا شرب المؤمن الخمر يُنزع منه الإيمان هكذا، وشبَّك ابن عباس بين أصابعه ثم أخرجها، فإن تاب عاد إليه الإيمان هكذا، وشبَّك بين أصابعه".
ورفع أبو هريرة رضي الله عنه يده مرة على رأسه وقال:

"يُنزع منه الإيمان، فيصبح على رأسه كالظل، فإن تاب وعاد يُعاد إليه الإيمان هكذا".

(أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة: صـ472).

وأخرج النسائي بسند صحيح موقوف من حديث عُثْمَانَ رضي الله عنه يَقُولُ:

"اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةً، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا أَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلِقْ مَعَ جَارِيَتِيهَا، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَعْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ، عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةٌ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأَسَا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأَسَا، فَسَقَتْهُ كَأَسَا، فَقَالَ: زِيدُونِي، فَلَمْ يَرَمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا - وَاللَّهِ - لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ "

فلا يجتمع إيمانٌ وحب الخمر في قلب عبدٍ أبداً، ولذلك تجد أن الله ﷻ لما حرَّم الخمر، نادى على أهل الإيمان فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة:90]، لأن أهل الإيمان هم الذين سيستجيبون لهذا النداء.

38- استحلال المعازف

وهذا مما عمّت به البلوى في هذا الزمان، وقد مر بنا حديث النبي ﷺ الذي أخرجه البخاري عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:

"لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ⁽¹⁾، وَلَيُنزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةً، فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ الْعِلْمَ، وَيَمْسُخُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

فهؤلاء الذين استحلوا هذه المحرمات يهلكهم الله ﷻ، ويدكدك عليهم الجبل، ويوقعه عليهم، ويمسح آخرين منهم قردة وخنازير.

وأخرج الطبراني في "الكبير" عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ، قِيلَ: وَمَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ وَالْقَيْنَاتُ⁽²⁾" (صحيح الجامع: 3665).

ومعنى استحلالهم لهذه المحرمات أحد شيئين:

- 1 - اعتقاد جِلِّ هذه الأمور وأنها ليست حراماً.
- 2 - أو اعتياد فعلها وانتشارها بين الناس، حتى تُصْبِحَ لا تتكرها الألسن ولا القلوب، فلا يستشعر الناس حرمتها أثناء فعلهم لها.

- المعازف: هي آلات اللهو والطرب.

(1) الحرّ: الزنا.

(2) القينات: هن المغنيات.

39- انتشار الربا وعدم المبالاة بمصدر المال

وهذه علامة من علامات الساعة، ودليل ذلك ما أخرجه الطبراني في "الأوسط" من حديث

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بين يدي الساعة يظهر الربا".

(الصحيحة: 2/3415)

والظهور هنا بمعنى الكثرة والانتشار.

ومن المعلوم أن الربا حرام، لعن الله آكله وموكله وكاتبه وشاهديه، وقد توعد الله تعالى من يتعامل بالربا بحربٍ لا طاقة له بها؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [278]

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: 278-279]

• والنبي صلى الله عليه وسلم حذر من التعامل بالربا، ولعن من فعل ذلك،

فقد أخرج الإمام مسلم في "صحيحه" من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم فيه سواء"

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن أكل الربا أشد من الزنا.

فقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" عن عبد الله ابن حنظلة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية"

وعند الطبراني في "الأوسط" من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه"

وعند الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم".

فاحذر أخي الحبيب... من الربا، فإنه وبال وشقاء، وضنك وبلاء، وعاقبته إلى قلة ونقصان،

كما جاء عند الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أحدٌ أكثر من الربا؛ إلا كان عاقبته أمره إلى قلة" (صحيح الجامع: 5518)

ورغم ذلك كله، فقد انتشرت التعاملات الربوية، وغيرها من المعاملات المحرمة، طلباً لزيادة المال.

أحبتي في الله... لا بد أن نعلم جميعاً أن الرزق يطارد الإنسان ويلاحقه، كما يطارده ويلاحقه الأجل فقد أخرج أبو نعيم في "الحلية" عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لَوْ أَنَّ رَجُلًا هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ، كَهَرَبِهِ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ".

لكن هناك من هو في شك من هذا، فراح يطلب الرزق بمعصية الله، ولا يبالي أمن حرام أم من حلال؟ وقد وقع هذا مصداقاً لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ..."

وصدق الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم، فلقد رأينا هذا الزمان الذي انتشر فيه بيع الدخان والخمر وبيع ملابس النساء التي تظهر العورة، أو التعامل بالربا، بل أن هناك من يتاجر بأعراض النساء ويأكل من هذا المال.

فهؤلاء نذركم بقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في "مسند الإمام أحمد":

"كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ". (صحيح الجامع: 4519).

وهؤلاء نذركم أيضاً بأن الرزق لا يُنال إلا بطاعة الله

فقد أخرج ابن حبان والحاكم بسند حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إِنَّ رَوْحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا [وتستوفي أجلها] فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته"

فعلى الإنسان أن يتحرى الحلال، ولا أقول يترك الحرام فقط، بل يترك الشبهات، فإن فعل فهو للحرام أترك،

كما جاء في الحديث: "فَمَنْ تَرَكَ مَا يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتَرَكَ".

أخرج البخاري ومسلم عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

يقول: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ بَيْنٍ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ بَيْنٍ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ،

فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ"

40- شهادة الزور وكتمان شهادة الحق

فالإسلام حرّم شهادة الزور وجعلها من أكبر الكبائر،

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه عن أبيه قال:

"كنا عند رسول الله ﷺ فقال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثاً - قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً، فقال: ألا وقول الزور، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت."

فمن شهد بغير علم فقد وقع في ذنب عظيم، وارتكب إثماً كبيراً، قال تعالى: **{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}** [الإسراء:36]

قال محمد بن الحنفية: "يعني شهادة الزور".

فعلى الإنسان ألا يشهد إلا بما علم، امتثالاً لقوله تعالى: **{وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا}** [يوسف:81]

ومن شهد بما لا يعلم فقد أضرع الحقوق، ونصر الظالم، أو ظلم بريئاً، لذا استحق أن يكون من أكبر الكبائر.

أما بالنسبة لكتمان شهادة الحق، فهذا أيضاً من الأمور التي نهى عنها رب العالمين، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: **{وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ}** [البقرة:283]

• وقد جعل النبي ﷺ شهادة الزور وكتمان شهادة الحق من علامات الساعة، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُقَ التَّجَارَةِ، حَتَّى تُعَيِّنَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التَّجَارَةِ، وَقَطَعَ الْأَرْحَامَ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ" (قال أحمد شاكر: صحيح، وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط).

41- كثرة الكذب وإشاعته

الكذب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وإن الله سبحانه ما أنعم على عبدٍ بنعمة - بعد الإسلام - أفضل من نعمة الصدق، وما ابتلاه ببلية أعظم من الكذب، الذي هو بريد الكفر والنفاق، ولذلك رغب النبي ﷺ في الصدق، ورهب من الكذب.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر⁽¹⁾، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق⁽²⁾ ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".

• وبين النبي ﷺ أن الكذب وكثرته وانتشاره في آخر الزمان علامة من علامات الساعة.

- أخرج الإمام مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَيَأْيَأُكُمْ وَإِيَاهُمْ".

- وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم".

- وعند مسلم أيضاً من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم".

وما أكثر الكذب في هذه الأيام، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول، أو في وسائل الإعلام المختلفة، المقروءة والمسموعة، وما أكثر من نقل الأخبار دون تثبت، وهو أحد أنواع الكذب، وهذا كله من علامات الساعة.

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتْنُ ، وَيَكْثُرَ الْكُذِبُ " (الصحيحه:2772).

(1) البر: بكسر الباء، والمقصود به: الطاعة.

(2) يصدق: أي يتكرر منه الصدق.

42- كثرة الشح والبخل

الشح: أشد من البخل؛ لأنه حرص، وهو كل ما يمنع النفس من بذل مالٍ أو معروف أو طاعة، والشح مرض نفسي يفتك بالمجتمع الإسلامي؛ لأن الشحيح يظل دائماً يطلب المزيد، ولا يكتفي بما معه، وهذا يحمله على انتهاك الحرمات، بل ربما إلى القتل، فالشح سبب للهلاك والضياع.

وقد حذر منه النبي ﷺ أمته فقال: **"اتقوا الشح"**.

والحديث أخرجه الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم"

وقد بين النبي ﷺ أن الشح والبخل من علامات الساعة.

فقد أخرج الطبراني في "الأوسط" والحاكم في "المستدرک" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالْبُخْلُ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ، وَيَهْلِكُ الْوَعُولُ، وَيَظْهَرُ التُّحُوتُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَعُولُ وَمَا التُّحُوتُ؟ قَالَ: الْوَعُولُ: وُجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ، وَالتُّحُوتُ: الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ"**

(السلسلة الصحيحة: 3211).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ"

وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **"من أشرط الساعة أن يظهر الشح"**.

وها قد وقع ما أخبر به النبي ﷺ، وظهر الشح في أوضح صورته، حتى أنك تجد الرجل يبخل على امرأته وأولاده، ولا يخرج حق الله في ماله، وهذا إن دل فإنما يدل على قلة الإيمان

فقد أخبر الحبيب العدنان رضي الله عنه كما في "مسند الإمام أحمد" والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

"... ولا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والشح"

- وفي رواية: **"لا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم"**.

(صححه الألباني في "صحيح النسائي" و"الأدب المفرد").

فالفلاح والنجاح في أن يَسَلَّمَ المرء من الشح.

قال تعالى: **{وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [الحشر: 9] [التغابن: 16] فلاح في الدنيا وفي الآخرة.

وقال تعالى: **{فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى}{5} وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}{6} فَسَنِيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}** [الليل: 5 - 7]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: **{فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى}** أي: أُعْطِيَ ما أمر بإخراجه، و**اتَّقَى** الله في أموره، **{وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}**: أي بالمجازاة على ذلك، وقيل: بـ(لا إله إلا الله)، وقيل: بما أنعم الله عليه، **{فَسَنِيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}**: يعني للخير، وقيل: للجنة.

يكفيك أخي الحبيب أن تعلم أن من أمسك دَعَتْ عليه الملائكة، ومن أنفق دَعَتْ له الملائكة ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً".

أضفْ إلى هذا أخي الحبيب أن المنفق سينفق الله عليه، وإذا أنفق الكريم عليه، فكيف سيكون مقدار الإنفاق!؟

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تبارك وتعالى: "يا ابن آدم أنفقْ أنفقْ عليك"

وغير هذا من فضائل الإنفاق، والذي لا يتسع المجال هنا لذكرها وهذا كله يجعلك تفهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال:

"لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ أَتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ أَتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ".

43- ظهور قطيعة الرحم

ظهرت قطيعة الرحم في أجلى صورها في هذا الزمان، فتجد أن الأقرباء لا يعرف أحدهم عن الآخر شيئاً، بل قد لا يعرف أحدهم قريبه، هل هو من الأموات، أم من الأحياء؟ ولا أبالغ إن قلت: "إن القطيعة وصلت إلى درجة عالية، حتى وصلت بين الأبناء والآباء، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه علامة من علامات الساعة.

فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: التَّسْلِيمَ عَلَى الْخَاصَّةِ، وَفَشْوُ التَّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التَّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَفَشْوُ الْقَلَمِ، وَظُهُورَ شَهَادَةِ الزُّورِ، وَكَيْتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ".

وعند الطبراني في "الأوسط" من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"من أشرط الساعة: الفحش والتفحش وقطيعة الرحم".

ولو لم يكن في قطيعة الرحم إلا أن الله ﻋﻠﻴﻚ يقطع من قطعها لكفى بهذا ذمماً للقاطع، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم ، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب، قال: فهو لك، قال رسول الله ﷺ: "فاقروا إن شئتم: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} [22] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ} [محمد: 22

[23 -

قال القرطبي رحمته الله في تفسير هذه الآية:

"أخبر تعالى أن من فعل ذلك حَقَّتْ عليه اللعنة، وسلبه الانتفاع بسمعه وبصره حتى لا ينقاد للحق، وإن سمعه وإن رآه، فجعله كالبهيمة التي لا تعقل".

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:
"الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله".

والقطع هنا بمعنى الحرمان من الإحسان. (انظر فتح الباري في شرح الحديث).

بل يعلنها النبي ﷺ فيقول: كما في "صحيح البخاري": "لا يدخل الجنة قاطع رحم".
أحبتني في الله... إن صلة الأرحام شعار أهل الإيمان، كما أخبر بذلك الحبيب العدنان ﷺ

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **فَقَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُصِلْ رَحْمَهُ"**

أضف إلى ذلك أن صلة الأرحام تزيد في الرزق وتبارك في العمر كما في "الصحيحين" من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **"مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ ."**

44- ظهور الفحش والتفاحش وسوء المجاورة

- الفحش: كل ما يُشْتَدُّ قبحه من الذنوب والمعاصي قولاً أو فعلاً.

- التفاحش: هو تبادل الفحش أو إظهاره.

وظهور الفحش وانتشاره علامة من علامات الساعة.

وقد مر بنا في الحديث الذي أخرجه الطبراني في "الأوسط" والحاكم في "المستدرک" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ..." الحديث.

وأخرج الإمام أحمد والحاكم في "المستدرک" عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: **"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ الْمَجَاوِرَةِ ."**

(قال أحمد شاكر: إسناده صحيح)

وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْفُحْشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَتَخْوِينُ الْأَمِينِ، وَائْتِمَانُ الْخَائِنِ ."

(رمز السيوطي لحسنه)

وقد وقع كل ذلك، فانتشرت المعاصي في بلاد المسلمين بصورة لم تخطر على قلب بشر، وانتشر الفحش مع بذاءة اللسان بين الناس، وقُطِعَت الأرحام حتى بين الأبناء والآباء، وأما سوء الجوار فحدّث ولا حرج، عاجزاً عن وصف سوء الجوار الذي يحدث بين الناس في تلك الأيام، حتى وصل الأمر إلى أن الجار لا يعرف جاره.

تنبيه:

كثرة الذنوب سبب لهلاك الناس.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود بسند صحيح عن أبي البختري الطائي، قال: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **"لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ"**. قال الخطابي: **"فسره أبو عبيدة فقال: يعذروا: أي تكثر ذنوبهم وعيوبهم"**.

• دعوة من القلب

على المسلم الذي تلبس بهذا المرض اللعين، الفحش وبذاءة اللسان، أن يعود إلى أخلاق الإسلام الحميدة، فالمسلم يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ
فقد أخرج أبو داود وغيره بسند صحيح من حديث عائشة ؓ أن النبي ﷺ قال:
"إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم"
(صحيح الجامع: 1932)

كما أن حسن الخلق يثقل الميزان، كما أخبر بذلك الحبيب العذنان ﷺ
ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء ؓ أن النبي ﷺ قال:
"ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء"
(صحيح الجامع: 5632)، (الصحيحة: 876)

وفي رواية عند أحمد وابن حبان: **"إن الله يبغض الفاحش والمتفحش"** (الصحيحة: 876)

كما إن صاحب الخلق الحسن يكون في جنة النعيم مع النبي الأمين ﷺ
كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن جابر ؓ قال رسول الله ﷺ:
"إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً"
فعلينا بحسن الخلق حتى نكون في هذه المكانة العالية، وعلينا كذلك أن نبتعد عن سوء الخلق، والفحش والتفحش، أسوةً بالحبيب النبي ﷺ.

ففي "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ أنه قال:
"لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً"

- وفي رواية: **لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً"**
فعلينا أن نقتدي به عملاً بقوله تعالى: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ {**

45- ظهور النساء الكاسيات العاريات

فانتشار التبرج والسفور علامة من علامات الساعة، حيث ظهرت هذه العلامة بوضوح في هذا الزمان، فخرجت النساء إلى الشوارع والطرقات بملابس عارية تُظهر مفاتنهنَّ.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رعوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".

قال النووي رحمته الله "شرح مسلم" (710/5): "هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به

النبي ﷺ، فأما "أصحاب السياط": فهم غلمان ولي الشرطة

أما "الكاسيات": ففيه أوجه: -

أحدها: معناه كاسيات من نعمة الله، عاريات من شكرها.

والثاني: كاسيات من الثياب، عاريات من فعل الخير، والاهتمام لآخرتهن، والاعتناء بالطاعات.

والثالث: تكشف شيئاً من بدنهن إظهاراً لجمالها، فهن كاسيات عاريات.

والرابع: يلبسن ثياباً رفاقاً، تصف ما تحتها، كاسيات عاريات في المعنى.

وأما قوله: "مائلات مميلات": **ف قيل:** زائغات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها، و"مميلات": يُعلَمَنَّ غيرهن مثل فعلهن.

وقيل: مائلات: متبخترات في مشيتهن، مميلات أكتافهن، **وقيل:** مائلات: يتمشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا معروفة لهن. مميلات: يُمشطن غيرهن تلك المشطة. **وقيل:** مائلات إلى الرجال، مميلات لهن بما يبدين من زينتهن وغيرها.

وأما قوله: "رعوسهن كأسنمة البخت": **فمعناه:** يعظمن رؤسهن بالخمر والعمائم وغيرها مما يُلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت، هذا هو المشهور في تفسيره.

قال المازري: ويجوز أن يكون معناه: يطمحن إلى الرجال ولا يعضضن عينهن، ولا يُنكسن رؤسهن.

واختار القاضي: أن المائلات تمشطن المشطة الميلاء، **قال:** وهي صفائر الغدائر، وشدها إلى فوق،

وجمعها في وسط الرأس، فتصير كأسنمة البخت، **قال:** وهذا يدل على أن المراد بالتشبيه بأسنمة البخت:

إنما هو لارتفاع الغدائر فوق رعوسهن وجمع عقائصها هناك، وتكثرها بما يضرنه حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام.

قوله ﷺ: "لا يدخلن الجنة": يتأول التأويلين السابقين في نظائره:

أحدهما: أنه محمول على مَنْ استحلَّت حراماً من ذلك مع علمها بتحريمه، فتكون كافرة مخدَّة في النار، لا تدخل الجنة أبداً.

والثاني: يُحمل على أنها لا تدخلها أول الأمر مع الفائزين، والله تعالى أعلم.

والإنسان منا لا يتصور كيف تسمع المرأة المسلمة هذا الكلام، ثم تصر على خلعها الحجاب، وخرجها سافرةً متبرجةً. أفما آن للنساء أن يرجعن إلى الله، ويُعلنن التوبة النصوح حتى لا يدخلن في هذا الحديث وتحت هذا الوعيد.

46- ظهور الرواحل الجديدة..... كالسيارات مثلاً

لقد عدَّ بعض أهل العلم أن ظهور مثل هذه السيارات - وغيرها من المركوبات - دلالة على قرب انتهاء الزمان، وذلك للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وابن حبان في "صحيحه" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

"سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُجٍ كَأَشْبَاهِ الرَّحَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، نَسَاؤُهُمْ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ".
(وضَّفَ بعض أهل العلم هذا الحديث، وصححه الألباني في الصحيحة)

وهذا قد وقع، فترى أحدهم يضع السيارة عند باب المسجد ويدخل المسجد فيصلي، وزوجته داخل السيارة كاسية عارية.

وقوله: "كأشباه الرحال": (بالحاء المهملة) جمع: رحل، وفيه إشارة إلى أنها مركوبات جديدة، لم يرها النبي ﷺ، وقد يكون المراد أنها السيارات - والله أعلم.
(نهاية العالم للعريفي: ص131)

وقد نَوَّهَ الْقُرْآنُ عَنْ مِثْلِ هَذَا، فَقَالَ تَعَالَى: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

[النحل:8]

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير هذه الآية {وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}:

"أي أنه سبحانه يخلق ما لا يعلم المخاطبون وقت نزولها، وأبهم ذلك الذي يخلقه لتعبيره عنه بالموصول، ولم يصرح هنا بشيء منه، ولكن قرينة ذكر ذلك في معرض الامتتان بالمركوبات تدل على أن منه ما هو من المركوبات، وقد شوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية، كالطائرات والقطارات والسيارات.

ويؤيد ذلك إشارة النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والله لينزلن ابنُ مريمَ حكماً عدلاً؛ فليكسرن الصليبَ، وليقتلن الخنزيرَ، وليضعن الجزيةَ، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد".

ومحل الشاهد من هذا الحديث قوله ﷺ: "ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها"، فإنه قسم من النبي ﷺ أنه سترك الإبل فلا يسعى عليها، وهذا مشاهد الآن للاستغناء عن ركوبها بالمراكب المذكورة. وفي هذا الحديث معجزة عظمى، تدل على صحة نبوته ﷺ، وإن كانت معجزاته - صلوات الله عليه وسلامه - أكثر من أن تُحصَر. اهـ

47- كثرة السمن في الناس، وظهور قوم يشهدون ولا يستشهدون

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عمران بن حصين ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن" (منفق عليه).

ففي آخر الزمان يظهر أناس - من أوصافهم - أنهم يشهدون ولا يستشهدون، وهذان الوصفان من التساهل بالشهادة على الآخرين بغير علم ولا طلب، وكثرة النذر مع عدم الوفاء به، وهذا إن دلّ فإنما يدل على رقة في الدين، وضعف في الإيمان، أما بالنسبة لكثرة السمن الذي يظهر في آخر الزمان، فلعله بسبب انتشار الترف وكثرة وتنوع الطعام والشراب، وقلة حركة الناس بسبب التقدم العلمي، وبسبب

الأجهزة الحديثة التي تخدم الإنسان في حياته المعيشية، وقد ذكرت الإحصاءات أن $\frac{1}{6}$ سكان العالم

يعانون من زيادة الوزن.

48- رفع العلم وقتته، وظهور الجهل وكثرته

وقد بيّن النبي ﷺ أن قبض العلم ورفعها، وظهور الجهل وانتشاره بين الناس علامة من علامات الساعة. فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"لا تقوم الساعة... حتى يُقبض العلم..." الحديث.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان، وينقص العلم..." الحديث

- وفي رواية لهما: **"أن يُرفع العلم ويثبت الجهل. أو قال: يظهر الجهل."**

والمراد بالعلم هنا علم الكتاب والسنة وما يتفرع عنهما، وهو الموروث عن الأنبياء - عليهم السلام - وبخاصة رسول الله ﷺ، وكلما بعد الزمان عن عصر النبوة قلَّ العلم وكثر الجهل بصورة عامة.

وقد مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه النسائي بسند صحيح عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"إن من أشراط الساعة: أن يفسد المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر الجهل، ويبيع الرجل البيع، فيقول: لا. حتى أستامر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد"**

- وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قالوا:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرَجُ". وَالْهَرَجُ الْقَتْلُ.

(أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي)

- وفي رواية أخرى عند الشيخين أيضاً: **"إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يُرْفَعُ الْعِلْمُ، وَ يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ" - وعند أحمد بلفظ: "ويفسد فيها الجهل-"**

- وأخرج البخاري ومسلم كذلك عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل. ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقي النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد."

- وعند البخاري: **"القيم الواحد"**. (أخرجه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه).

- وفي رواية: **"إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويثبت الجهل⁽¹⁾، وتُشرب الخمر⁽²⁾، ويظهر الزنا⁽³⁾"**

(رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه)

(1) يثبت الجهل: أي ينتشر الجهل ويظهر، وسببه قبض العلماء.

(2) تُشرب الخمر: أي يكثر شرب الخمر.

(3) ويظهر الزنا: قال الحافظ في "الفتح" (115/12): أي يشيع ويشتهر بحيث لا يتكتم به، لكثرة من يتعاطاه.

تنبيهات وفوائد:

1 - المراد بقول النبي ﷺ:

"إن من أشراط الساعة: أن يُرْفَعَ الْعِلْمُ، ويثبت الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنا" هو استحكام ذلك وانتشاره بكثرة، حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر.

2 - المقصود بالجهل هنا: هو الجهل بأمور الدين، ويدل على ذلك ما جاء عند الطبراني:

"يأتى على الناس زمان لا يُدرى فيه ما صلاة؟ ما صيام؟ ما صدقة؟".

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسري على كتاب الله ﷻ في ليلة لا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير العجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة "لا إله إلا الله" فنحن نقولها، فقال له صله: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صياماً ولا صدقة ولا نسكاً؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صله، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار، ثلاثة".

(صحيح الجامع: 8077)، (صحيح ابن ماجه: 3273)، (السلسلة الصحيحة: 87)

ولقد ذمَّ النبي ﷺ الجاهل بدينه، العالم بأمر الدنيا، ويبيِّن أن الله تعالى يبغضه، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان في "صحيحه" أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال:

"إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَفْظَرِيٍّ (1) جَوَاطٍ (2) صَخَّابٍ (3) فِي الْأَسْوَاقِ، حِيْفَةَ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ" (4)

والمتمل في حال الناس اليوم يجد أن كثيراً منهم يهتم بأمور الدنيا، عالم بها وبشؤونها، ولكن في أمور الآخرة فهو أجهل ما يكون، وهذا كله نتيجة طبيعية بسبب الاشتغال بالمعاش، وهجر مجالس العلم والعلماء.

(1) جَفْظَرِيٍّ: أي الغليظ في طبعه.

(2) جَوَاطٍ: هو الضخم المختال في مشيته، وقيل هو الأكل.

(3) صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ: يرفع صوته في الأسواق.

(4) وهذا الحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي في موضع، وسكت عنه في موضع آخر، وقوى الحافظ ابن حجر إسناده هذا الحديث في أكثر من موضع من فتح الباري، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم: 87، وقال بعض أهل العلم: "فهذا الحديث وإن كان رواه ثقات، إلا أن في إسناده - محمد بن حازم أبو معاوية الضيرير - وهو وإن خرَّج له الشيخان، إلا أنه كان مرجئاً، ومن المعروف عند علماء المصطلح أن المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته يتوقف في أمره. والله أعلم.

3 - المقصود برفع العلم أو قبضه: إنما يكون بموت حَمَلَتَه، كما صرَّح بذلك النبي ﷺ
فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ
يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء،
حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رعوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".
وفي رواية البخاري: "إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع
قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جهالٌ، يُستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون".

وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي قال:

"لما كان في حجة الوداع، قام رسول الله ﷺ وهو يومئذ مردفُ الفضل بن عباس على
جمل آدم، فقال: يا أيها الناس، خذوا من العلم قبل أن يُقبض، وقبل أن يرفع العلم، وقد
كان أنزل الله ﷻ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا
عَهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [المائدة:101]، قال: فكنا
نذكرها كثيراً من مسألته، واتقينا ذلك حين أنزل الله ﷻ ذلك على نبيه ﷺ. قال: فأتينا
أعرابياً فرشوناه برداءً. قال: فاعتم به، حتى رأيت حاشية البرد خارجة من حاجبه الأيمن.
قال: ثم قلنا له: سل النبي ﷺ؟ قال: فقال له: يا نبي الله، كيف يرفع العلم منا وبين
أظهرنا المصاحف، وقد تعلمنا ما فيها، وعلمناها نساءنا وذرائعنا وخدمنا؟ قال: فرفع النبي
ﷺ رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب. قال: فقال: أي ثكلتك أمك، هذه اليهود
والنصارى بين أظهرهم المصاحف؛ لم يصبحوا يتعلقوا منها بحرف مما جاءتهم به
أنبيائهم، ألا وإن ذهاب العلم: أن يذهب حملته ثلاث مراراً".

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال:

"خذوا العلم قبل أن ينفذ ثلاثاً، قالوا: يا رسول الله وكيف ينفذ وفينا كتاب الله، فغضب، ثم
قال: ثكلتكم أمهاتكم، ألم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل ثم لم يُغن عنهم شيئاً؟ إن
ذهاب العلم ذهاب حملته " - ثلاثاً.

وأخرج الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَشَخَّصَ بَبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا، وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ؟ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَهُ وَلَتَقْرَأَهُ نِسَاؤُنَا وَأَبْنَاؤُنَا، فَقَالَ: "ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتَ لِأَعْدُكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟ قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عَبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَأَخْبَرْتَهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، قَالَ: صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِنْ شِئْتَ لِأَحَدِنَا بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؟ الْخُشُوعُ يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا".

وقفة:

وفي قول النبي ﷺ في الحديث الذي مر بنا: "حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رعوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا"، يدل على أمر مهم ينبغي أن يتنبه له، وهو أن مَنْ أفتى بغير علم يَأْتِمُ، ولكن المفتي إن كان من أهل العلم وممن اجتمعت فيه شرائط الفتيا، وبذل وسعته للوصول إلى الحق، ثم أفتى بما غلب على ظنه أنه الحق بمقتضي الأدلة، فأخطأ، فلا إثم عليه في الخطأ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: 5]

ولدخوله تحت قول النبي ﷺ:

"إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد".

(أخرجه البخاري ومسام من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه).

أما إذا أفتى مَنْ ليس بأهل للفتيا فأخطأ، أو كان أهلاً ولم يبذل جهده لإحقاق الحق فأخطأ؛ فإنه لا يكون معذوراً بذلك، ويكون آثماً لأنه أضلَّ عن سبيل الله، وقد قال تعالى: ﴿لِيُخِمُّوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: 25]

(انظر الفتيا ومناهج الإفتاء: ص 134 - 136)

وقد مرّ بنا في حديث الباب: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا".
(رواه البخاري).

قال ابن المنذر رحمته الله: "وإنما يُؤجر الحاكم إذا أخطأ إذا كان عالماً بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم يكن عالماً فلا. اهـ

واستدل بحديث: "القضاة ثلاثة، وفيه... وقاضٍ قضى بغير حق فهو في النار، وقاضٍ قضى وهو لا يعلم، فهو في النار"

وقال الخطابي رحمته الله في "معالم السنن":

"إنما يُؤجر المجتهد إذا كان جامعاً لآلة الاجتهاد، فهو الذي يُعذر بالخطأ، بخلاف المتكلف، فيُخاف عليه. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله كما في "فتح الباري" (318/13):

"لا يلزم من رد حكمه أو فتواه إذا اجتهد فأخطأ أن يَأثم بذلك، بل إذا بذل وُسعه أُجر، فإن أصاب ضُوعف أجره، لكن لو أقدم فحكم أو أفتى بغير علم لحقه الإثم". اهـ

49- التماس العلم عند الأصغر

نشط كثير من الشباب لطلب العلم والدعوة، وهذا أمرٌ جميلٌ وتحتاجه الأمة خصوصاً هذا الزمان، لكن غلب على بعضهم الحماسة واستعجال قطف الثمار، فتصدّر للإفتاء والتعليم، فسئّلوا، فأفتوا بغير علم، بل برأيهم، أنفةً منهم واستكباراً عن أن يقولوا: "لا نعلم"، ساعد على هذا الأمر بروزهم في القنوات الفضائية، فاغترّ الناس بهم، أضف إلى هذا: حصول بعضهم على شهادات وألقاب علمية، والتي تمنحها كثير من المؤسسات العلمية لإخريجها.

وإذا كان الأمر كذلك، وتصدّر للتعليم والإفتاء الأصاغُر، انتشر الفساد وعمّ البلاء، وهذه علامة من علامات الساعة.

أخرج الطبراني في "الكبير والأوسط" عن أبي أمية الجُمحي رضي الله عنه:

"إن من أشرار الساعة - وفي رواية: ثلاثاً: إحداهن - أن يُلتمس العلم عند الأصاغِر."

(صحيح الجامع: 2207)، (الصحيحة: 695)

وأورد المعلق على "كتاب الزهد" لعبد الله بن المبارك وفيها: "قال نعيم: قيل لابن المبارك: من الأصاغِر؟ قال: الذين يقولون برأيهم، فأما الصغير الذي يروي عن كبير فليس بصغير"

وقال الحافظ في "فتح الباري" (301/13) وفي "مصنف قاسم بن أصبغ" بسند حسن عن عمر:
"فساد الدين: إذا جاء العلم من قِبَل الصغير استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس: إذا جاء العلم من قِبَل الكبير تابعه عليه الصغير" **وذكر أبو عبيد:** أن المراد بالصغر في هذا: صغر القدر لا السن، والله أعلم."

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لا يزال الناس صالحين متماسكين ما اتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أكابريهم، فإذا اتاهم من أصاغِرهم هلكوا."

وجاء في "كتاب جامع بيان العلم" رقم: 2410، (ص 1225) عن مالك رضي الله عنه قال:
"أخبرني رجل: أنه دخل على ربيعة بن عبد الرحمن، فوجده يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟ وارتاع ليكانه، فقال: لا، ولكن استفتيت من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم، قال ربيعة: ولبعض من يفتي ها هنا أحق بالحبس من السراق."

50- زهاب أهل الخير والدين

وزهاب أهل الخير والدين علامة من علامات الساعة

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيظَتَهُ (1) مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ (2)، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا"

(قال أحمد شاكر رحمته الله: إسناده صحيح)

وإذا قبض الله أهل العلم والصلاح والخير والدين، لم يبق إلا أراذل القوم، فإذا كان العلم فيهم فإنه لا يؤمر بمعروف، ولا يُنهى عن منكر.

كما جاء عن ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

"قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى نَنْزِعُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: الْمُلْكُ فِي صَغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ (3)، وَالْعِلْمُ فِي رُدَائِكُمْ (4)"

أخرج البخاري: عن مرداس الأسلمي قال رسول الله ﷺ:

"يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَأَلَّوْلُ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ (5)، كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ، لَا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً (6)" قال أبو عبد الله: يُقال: "حُفَالَةٌ" و "حُثَالَةٌ"

وقد أخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغْرِبُونَ فِيهِ غَرْبَلَةً، يَبْقَى مِنْهُمْ حُثَالَةٌ (7) قَدْ مَرَجَتْ (8) عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ". (قال أحمد شاكر: إسناده صحيح)

(1) يَأْخُذُ اللَّهُ شَرِيظَتَهُ: أي يأخذ أهل الخير والدين.

(2) عَجَاجَةٌ: هم الأراذل من الذين لا خير فيهم.

(3) وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ: أي أن الفاحشة لا تقتصر على الصغار، بل تنتشر حتى تصل إلى الكبار وتدب فيهم، والمراد بالفاحشة: الزنا. والله أعلم

(4) قَالَ زَيْدٌ: "وَالْعِلْمُ فِي رُدَائِكُمْ": أي: إِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الْفُسَّاقِ .

(5) قَالَ الْحَافِظُ فِي "الفتح" (252/11): "وقال الخطابي: "الحفالة" (بالفاء وبالمثلثة): الرديء من كل شئ، وقيل: آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأرداه. وقال ابن التين: الحثالة: سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير... وغيرهما. وقال الداودي: ما يسقط من الشعير عند الغريلة، ويبقى من التمر بعد الأكل". وقال الحافظ رحمته الله في "الفتح": وقد وجدت لهذا الحديث شاهداً من رواية الفزارية امرأة عمر بلفظ: "تذهبون، الخير فالخير، حتى لا يبقى منكم إلا حثالة كحثالة التمر، ينزو بعضهم على بعض نزو المعز".

(6) فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ الْمَوْقُوفَةِ: "لَا يَبْقَى اللَّهُ بِهِمْ شَيْئاً"، وَهِيَ كَقَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمَجَاشِعِيِّ: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ: عَرَبِيًّا وَعَجْمِيًّا" وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ أَنَّ مَوْتَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ. وَهَذَا وَاضِحٌ لَا يُخْفَى.

(7) حُثَالَةٌ: الرديء من الشئ. كما مر بنا

(8) مَرَجَتْ: اختلطت.

51- كثرة القول وترك العمل

أخرج الحاكم والطبراني وابن عساكر في "تاريخ دمشق" عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا إن من أشرط الساعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الْأَشْرَارُ، وَتُوضَعَ الْأَخْيَارُ، وَيُفْتَحَ الْقَوْلُ، وَيُخْزَنَ الْعَمَلُ"

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
" يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ ."

وفي زماننا هذا تكثر الكتب ويكثر الكلام، لكن يقل العمل، بخلاف ما كان عليه الجيل الأول الفريد، حيث كان كلامهم قليلاً، وعملهم كثيراً، ولنضرب لذلك مثلاً.

ففي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه:

"أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسأل أصحابه بعد صلاة الفجر ويقول: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ."

فانظر - رحمك الله - ... إلى كم العمل الذي فُعلَ في بداية اليوم، لتعلم كيف كان يومه عامراً بالأعمال الصالحة، وهاهو أبو مسلم الخولاني يقول: "لو رأيت الجنة عياناً ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد، وكذلك لو قيل لصفوان بن سليم: "الساعة غداً"، ما كان عنده مزيد عمل.

فلا بد أن نترجم أقوالنا إلى أفعال، ولقد ذمَّ الله أقواماً يقولون ما لا يفعلون.

قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} [2] كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**

[الصف: 2-3]

52- ظهور القلم (كثرة الكتابة وانتشارها)

وكثرة الكتابة وانتشارها علامة من علامات الساعة

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَ التَّجَارَةِ، حَتَّى تُعَيِّنَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التَّجَارَةِ، وَقَطَعَ الْأَرْحَامَ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكَيْتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ"

(صححه أحمد شاكر والأرنؤوط).

والمراد بظهور القلم: كثرة الكتابة وانتشار الكتب... وما شابه ذلك من صحف ومجلات، ساعد على ذلك التقدّم المذهل في وسائل التصوير والطباعة والنشر حتى أصبحت الكتب ميسورة لدى أغلبية الناس، ومع هذا كله تجد أن الجهل متفشي بين الناس بأمور شريعتهم ودينهم

ويؤيد هذا ما مر بنا في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُظْهِرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُو الزِّنَا، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ، وَتَبْقَى النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيْمٌ وَاحِدٌ"

وهذه العلامة ظاهرة يراها الكل رأي العين.

53- انتشار الكتب غير القرآن

فمن علامات الساعة أن يزداد إقبال الناس على الكتب، فنُسْتَرَى وتُطَبَّع ويكثر تداولها، ويُجعل لها معارض، فيُفَعَّل بها ما لا يُفَعَّل في كتاب الله من الترويج والتداول.

فقد أخرج الحاكم والطبراني وابن عساكر في "تاريخ دمشق" عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مِنْ أَشْرَاطِ - وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ اقْتِرَابِ - السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الْأَشْرَارُ،

وَتُوضَعَ الْأَخْيَارُ، وَيُفْتَحَ الْقَوْلُ، وَيُخْزَنَ الْعَمَلُ، وَيُقْرَأَ بِالْقَوْمِ الْمَثَنَاءُ⁽¹⁾، لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ

يُنْكِرُهَا، قُلْتُ: وَمَا الْمَثَنَاءُ؟ قَالَ: مَا اسْتَكْتَبَ سِوَى كِتَابِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

(1) قال الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" (775/6-776): هذا الحديث من إعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، فقد تحقق كل ما فيه من الأنباء، وبخاصة منها ما يتعلق بـ(المثناة)، وهي كل ما كُتِبَ سِوَى كِتَابِ اللَّهِ كَمَا فَسَّرَهُ الرَّوْيُ، فَكَانَ الْمَقْصُودُ بـ(المثناة) الكتب المذهبية المفروضة على المقلدين التي صرفتهم مع تطاول الزمن عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما هو مشاهد اليوم مع الأسف من جماهير المتمذِّبين، وفيهم كثير من الحاصلين على درجات علمية - دكتوراة أو حتى داريكي الشريعة، فإن كثيراً منهم - إلا من رحم ربي - يتدبِّنون بالتمذهب، ويوجبونه على الناس، حتى العلماء منهم، فهذا كبيرهم "أبو الحسن الكرخي الحنفي" يقول كلمته المشهورة: "كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ"، ثم قال الألباني: "فقد جعلوا المذهب أصلاً، والقرآن الكريم تبعاً، فذلك هو المثناة دون ما شك أو ريب. اهـ بتصرف.

وقد مر بنا أن المقصود بقول النبي ﷺ: "ويُفتح القول" أي: يكثر الكلام ويقل العمل، لكن جاء في بعض الروايات: "ويُقبِح القول" وقد يكون المقصود به التباهي بالكلام، واكتساب المال باللسان، وذلك عن طريق كثرة المدح والثناء بالباطل لمن لا يستحقه، أو بالحلف الكذب في البيع والشراء، أو الكذب... أو ما شابه ذلك.

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن مُصعبِ بنِ سَعْدٍ قَالَ:

"جاءَ عُمَرُ بنُ سَعْدٍ إِلَى أَبِيهِ يَسْأَلُهُ حَاجَةً، فَتَكَلَّمَ بَيْنَ حَاجَتِهِ بِكَلَامٍ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ ﷺ: مَا كُنْتَ مِنْ حَاجَتِكَ أَبْعَدَ، [ولا كنت فيك أزهد مني منذ سمعتُ كلامك هذا]، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَخَلَّلُونَ فِيهِ الْكَلَامَ بِالسِّنْتِهِمْ، كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرُ الْكَلَاً بِالسِّنْتِهَا⁽¹⁾".

تنبیه وختام:

وردت بعض العلامات الصغرى، لكن الأدلة عليها ضعيفة، ومنها:-

- أن يُتَّخَذَ الْفَيْءُ دَوْلًا (يعني: يستحوذ عليه الأغنياء والرؤساء، ويتداولونه بينهم دون الفقراء)
- أن تكون الأمانة مغنماً (يعني: ستعطى الأمانة للرجل ليحفظها فيأخذها ويعتبرها غنيمة ويجدها)
- ألا تطيب نفوس الناس بإخراج زكواتهم (فتجد الرجل يدفع زكاة ماله رغماً عنه، ويعتبر هذا غرامة، ويعدُّ الزكاة مغرمًا)
- تعلم العلم لغير الله.
- طاعة الزوجة وعقوق الأم.
- إدناء الأصدقاء وإقصاء الآباء.
- رفع الصوت في المساجد.
- سيادة الفساق على القبائل.
- يكون زعيم القوم أردلهم.
- إكرام الرجل اتقاءً شره.

(1) أي يدير لسانه حول أسنانه مبالغاً في إظهار بلاغته، والكلأ: هو المرعى، وخص البقر: لأنها تجمع النبات بلسانها وليس بأسنانها، وقد جاء الذم لهذا الصنف الذي يُظهر التفاسح تيهاً على الغير، وتفاسحاً واستعلاءً ووسيلة إلى الاقتدار على تصغير عظيم، أو تعظيم حقير، أو يقصد تعجيزه، أو تزيين الباطل في صورة الحق أو عكسه، أو يقصد إجلال الحكام له ووجاهته وقبول شفاعته وهو يتشدق بلسانه كما تتشدق البقرة بلسانها.

والأحاديث في ذلك ضعيفة:

أخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إِذَا فَعَلْتُ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا الْبَلَاءُ، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ الْمَغْنَمُ دَوْلًا، وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْدَلَهُمْ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ، وَلُبِسَ الْحَرِيرُ، وَاتَّخَذَتِ الْقِيَانُ⁽¹⁾ وَالْمَعَارِيفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا، فَلْيُرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ، أَوْ خَسْفًا أَوْ مَسْخًا".

(ضعيف في إسناده الفرج بن فضالة)

وأخرج الترمذي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إِذَا اتَّخَذَ الْفِيءُ دَوْلًا، وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَتَعَلَّمَ لغير الدين، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ، وَأَدْنَى صَدِيقَهُ وَأَقْصَى أَبَاهُ، وَظَهَرَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَسَادَ الْقَبِيلَةَ فَاسِقُهُمْ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْدَلَهُمْ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَظَهَرَتِ الْقِيَانَاتُ وَالْمَعَارِيفُ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا، فَلْيُرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ، وَزَلْزَلَةً وَخَسْفًا وَمَسْخًا وَقَذْفًا وَأَيَاتٍ تَتَابَعُ كَنْظَامَ بَالٍ قَطَعَ سَلْكُهُ فَتَتَابَعُ"

(ضعيف، في إسناده رميح الجذامي (لا يُعرف)

وهناك حديث ثالث عند الطبراني عن عوف بن مالك، وفيه أيضاً بعض هذه العلامات، وهو ضعيف أيضاً، وفيه عبد الحميد بن إبراهيم

(1) القينة: الأمة مغنّية كانت أو غير مغنّية، والجمع: القيان.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسرّ جمعه في هذه الرسالة
نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منّا بقبول حسن، كما أسأله ﷺ أن ينفع بها
مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني
ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب،
فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي
وإن وجدت العيب فسد الخلا
فألهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك